محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم

حقوق الطبع والنشر غير محفوظة

فيجوز إعادة طبع الكتاب ونشره لمن شاء دون إذن من المؤلف شريطة التقيد بالنص من غير زيادة أو نقصان، كما يجوز نشره مترجماً إلى اللغات الأخرى.

الطَّبعة الثالثة (منقحة)

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٦/٣/٥٣٠)

٢٣٥

البياتي ، منير

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم/ منير البياتي .ـ

عمان : دار النفائس ، ٢٠٠٦

(١٤٤) ص .

ر .إ .(٢٠٠٦/٣/٥٣٠)

الواصفات : / السيرة النبوية/ / الأنبياء/ / الإسلام /

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

دار النفائس
للنشر والتوزيع-الأردن

العبدلي مقابل عمارة جوهرة القدس
ص.ب ٩٢٧٥١١ عمان ١١١٩٠ الأردن
هاتف ٥٦٩٣٩٤٠ ، فاكس ٥٦٩٣٩٤١
بريد الكتروني: ALNAFAES@HOTMAIL.COM

محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

الأستاذ الدكتور

منير البياتي

عميد كلية الحقوق بجامعة الزرقاء الأهلية- الأردن

سابقاً: أستاذ الشريعة والقانون وأستاذ الدراسات العليا بجامعة بغداد

أستاذ الشريعة والعلاقات الدولية بالجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا

دار النفائس

للنشر والتوزيع - الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فهذه مقدمة بين يدي الكتاب لبيان هدفه ومحتواه وخطة البحث فيه أدعو الله تعالى أن ينفع به القراء الكرام.

١- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾[1]:

ما ظنك بنطفة خلقها الله من ماء مهين ، خلقها إنسانا ليمتحنها ويبتليها فإما إلى جنات النعيم وإما إلى نيران الجحيم فإذا بها خصيم مبين يخاصم رب العالمين ويسب رسوله الكريم الصادق الأمين ، فأي حقير شقي هذا ؟! وأي صنف هو من أصناف الصم البكم العمي الذين لا يعقلون ؟!.. ذلك ما فعله أصحاب صحيفة دانماركية نشرت صوراً كاريكاتيرية تسيء إلى شخص نبينا محمد ﷺ

---

(١) التوبة : ٣٢ .

في سخرية وازدراء وطعن في دين الإسلام وإيـذاء إجرامـي لشخص الرسول الكريم وأعـادت نـشرها صـحف غربيـة أخرى نرويجية وفرنـسية وغيرهـا- "تـشابهت قلـوبهم " - تلك الصحف التي اعتدت عـلى عقيـدة المـسلمين وديـنهم وعلى رسـول الإسـلام وأشرف الأنبيـاء والمرسـلين وسـيد الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين ، وهي تمارس ذلك تحت غطاءٍ زائـف لـ(حريـة التعبـير) التـي تـضمنت بهـذا الغطـاء (حريـة الإجـرام) ، تمامـاً مـثلما تـضمنت (الحريـة الشخـصية) عنـدهم الحـق في الإباحيـة والزنـى بـالتراضي والانغـماس في حمـأة الرذيلـة حـسبما هـو مُـشَرَّع ومَحمـيٌّ في القوانين الغربية..

نقول إنه يحسن بنا إزاء هذا الحدث الإجرامي الخطير الذي جرحت به هذه الصحف مشاعر وقلوب المسلمين والمسلمات في العالم كله أن ندعم ثورة الشعوب الإسلامية الغاضبة المباركة التي تذود بشرف كبير وبشكل جمّاهيري واسع عن حرمة نبينا سيد الأولين والآخرين وأشرف

الأنبياء والمرسلين ﷺ وعن حرمة دين الإسلام ، بأن نقدم توعية علمية شاملة لبيان أسباب معاداة الغرب لنبي الإسلام محمد ﷺ وتوعية علمية أخرى بشأن شخص الحبيب المصطفى ﷺالهادي البشير والسراج المنير كما وصفه ربه جل جلاله ووصف رسالته بقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا* وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦] وتعهد بإظهار دينه في الأرض كلها كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣] وأخبر أن الذين يريدون أن يطفئوا نور الله مخذولون خاسرون وأن الله متم نوره مهما سعوا في إطفائه لأنه الله رب العالمين ولأنهم ليسوا أكثر من عبيد كافرين كارهين، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢]، وقال جل وعلا: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة:٢١] .

٢ـ الهدف من نشر هذا الكتاب:

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم يتضمن تأليفا جديدا للرد على جريمة الاستهزاء بالنبي الكريم محمد ﷺ - سفها بغير علم - من بعض الصحف الغربية بحجة (حرية التعبير) واصطفاف الكثير من الفكر الغربي إلى جانبها كاشفا عن حقيقته أمام أنظار العالم، وكذلك تأليفا جاهزا - لبعض مباحثه مع الإضافة إليها - مستمدا من كتابي (موسوعة المسلم في التوبة والترقي في مدارج الإيمان) الذي نشرته حديثا دار النفائس في الأردن في مجلدين ضخمين متضمنا الكلام عن منزلة النبي الكريم محمد ﷺ مستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولوازم الإيمان بنبوته، من حيث التصديق التام من غير ذرة من شك ، والالتزام بالطاعة، والتسليم لحكمه وأمره ونهيه، ثم واجبات كل مسلم ومسلمة تجاه النبي الكريم ﷺ من حيث المحبة، والنصرة، والإتباع، والاحترام لشخصه الكريم وتبجيله، والإقتداء به، وحرمة إيذائه، والصلاة والسلام عليه ، ونحو ذلك ، ليشكل كل ذلك معرفة علمية ضرورية تدعم الوعي العام عند المسلمين بشأن النبوة العظمى والخاتمة للنبي

الكريم محمد ﷺ وبشأن شخص النبي المصطفى المبعوث رحمةً للعالمين.

ونظرا لاعتقادي بحاجة المسلمين عموما في العالم الإسلامي وخارجه للفوائد المرجوة من هذا الكتاب فإني -بهذا - أجيز لدور النشر كافة ولمن شاء إعادة طبع الكتاب ونشره دون حاجة إلى إذن جديد من المؤلف أو دار النشر (حقوق الطبع والنشر غير محفوظة) وذلك من أجل أن تعم الفائدة. وفي حال ترجمة الكتاب إلى لغات أخرى يحسن عرض الترجمة على المؤلف من أجل التأكد من صحتها .

٣ـ خطة البحث :

يتألف الكتاب من مقدمة- هي التي بين يدي القارئ الكريم - يليها خمسة مباحث :

الأول : في بيان حقائق أساسية لا غنى للمسلم عن معرفتها تتناول موقف الفكر الغربي من النبي ﷺ ، وإثبات النبوة، وجهاد الفتح، وحرية التعبير.

والثاني: في بيان منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى واختياره قدوة ومثلا أعلى .

والثالث : في بيان مُقتضى الإيمان بنبوة محمد ﷺ ولوازمه والعمل بها .

والرابع : في بيان واجبات المسلم تجاه النبي ﷺ وما له من حقوق عليه والعمل بها .

والخامس : في بيان الاحتراز والحذر من خلط ما لله تعالى بما للرسول ﷺ من حق .

وأخيرا الخاتمة : في بيان خلاصة ما يسره الله تعالى في هذا الكتاب.

داعيا المولى القدير أن ينفعنا والمسلمين بهذا الكتاب وأن يجعل كل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وخادمة للإسلام والمسلمين إنه سميع مجيب .

المؤلف

أ.د. منير البياتي

الأردن / الزرقاء ١٥/محرم/١٤٢٧

١٤/شباط/٢٠٠٦

E-mail: MUNIR67@HOTMAIL.COM

المبحث الأول

حقائق أساسية لا غِنى عن معرفتها

((موقف الفكر الغربي من النبي ﷺ ، وإثبات النبوة، وجهاد الفتح، وحرية التعبير))

٤ـ تمهيد :

يتضمن هذا المبحث بيانا لحقائق أساسية لا غِنى للمسلم وغيره عن معرفتها نقدمها في فقرات متتالية على النحو الآتي :

٥ـ أعداء الرسل يشبه بعضهم بعضا :

كفار اليوم الذين استهزأوا برسول الله ﷺ وسخروا منه[1] يشبهون كفار الأمس الذين قال الله تعالى عنهم:

---

(١) فقد أعلنت صحيفة "جيلاندز - بوسطن " الدنمركية عن مسابقة لرسم رسوم كاركاتيرية تمثل الاستهزاء بنبي الإسلام محمد ﷺ والسخرية منه واختارت ١٢ صورة من أقذر الرسوم التي وصلتها بالمسابقة تسخر من نبي الإسلام محمد ﷺ وذلك بعددها بتاريخ ٣٠-٩-٢٠٠٥ . ثم اصطفت إلى جانبها في المجتمعات الغربية صحف أخرى في كل من النرويج وفرنسا وألمانيا وأسبانيا وسويسرا والمجر ونيوزيلندا وبولندا، فضلاً عن دول أوروبية أخرى حيث أعادت نشر الرسوم الساخرة التي نشرتها صحيفة ((جيلاندز بوسطن)) الدانماركية

﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص:٤]، وقال: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ * بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٦-٣٧]، وقال: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥١].

نقول: كفار اليوم الذين استهزأوا برسول الله ﷺ يماثلون كفار الأمس، فليسوا هم أحسن حالاً منهم ولا هم بمنجاة من عقاب الله تعالى الذي أنزله على المكذبين والمستهزئين بالرسل، قال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر:٤٣]. وقال جل ثناؤه في إيذاء النبي ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

في سبتمبر الماضي بدعوى مساندة ((حرية التعبير))؛ فأشعل الغضب والاحتجاجات في أنحاء العالم العربي والإسلامي(انظر على الإنترنت موقع WWW.ALNABY.COM الصفحة الرئيسة بتاريخ ١٧/ ٢/ ٢٠٠٦) نقلا عن"مفكرة الإسلام").

[التوبة:٦١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧]، وقال الجبار المنتقم بشأن أعداء الرسل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم: ٦٨-٧٠]، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾[النساء:٤٢].

٦ـ أنصار الرسول ﷺ هم الصادقون المنصورون:

وبالمقابل قال تعالى عن المؤمنين المناصرين لرسولهم الكريم ﷺ: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وهبَّة المسلمين الغاضبة اليوم والاحتجاجات العارمة من الشعوب الإسلامية ضد أعداء الرسول ﷺ، والغيرة التي أبداها المسلمون على حرمة رسول الله ﷺ، كل ذلك داخل في مناصرته الواجبة شرعا على كل مسلم ومسلمة. والمؤمنون

منصورون فيها كما قال تعالى:﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر:٥١]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣] . وقال جل ثناؤه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ * أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد:٧-١١].

٧ـ المستهزئون بالرسل خاطئون بحق أممهم أيضا :

فما ظنهم برب العالمين وهم يتحدونه بالاستهزاء برسوله الصادق الأمين أشرف الكائنات وسيد الأنبياء والمرسلين ؟ الذي آتاه الله عز وجل أضعاف ما آتى نبيا من أنبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام من المعجزات المؤيدة لصدق نبوته ، وخَصَّه بالمعجزة المستمرة إلى يوم الدين لتكونَ حجة على الخلق أجمعين ؟ .

لقد ارتكب هؤلاء الجهلة الحمقى خطيئة كبرى

وشاركهم فيها كل من سكت على فعلتهم الشنيعة أو رضيها أو دافع عنها أو بررها ، أجرم كل هؤلاء بحق أممهم من حيث لا يشعرون .. لا يشعرون لأنهم " لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ "[1] والحياة عندهم (فرصة متاع ومائدة طعام) كما قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢] فلا يعنيهم أن يتعرفوا على حقائق الأديان ويزنوها بميزان العقل والعلم ليعرفوا كيف يستنقذون أنفسهم من جهالة الضلال عن سواء السبيل - تلك الجهالة التي غذتها ورسَّخَتها في ثقافتهم قرون طويلة من الكذب والافتراء على النبي محمد ﷺ وعلى دين الإسلام وتضليل ثقافتهم بشأن الرسول ﷺ ودين الإسلام تضليلا تاما لا يختلف عن العمى الدائم بشيء - ويستنقذونها أيضا من جهالة التقليد بغير علم ، وجهالة التعصب الأعمى ، وجهالات أخرى ، فيمارسون - ولو لمرة واحدة - حرية العقل والتَعَقُّلْ ويسألون عقولهم عن الصراط المستقيم المنجي من نيران الجحيم وهو متعلق بمستقبل الإنسان

---

(١) سورة الأنبياء : الآية : ٣ .

الأبدي الخالد ، فيرحمون أنفسهم بوقفة – في منتصف نفق الضلالة الذي يعيشون فيه – وقفة يسألون فيها أنفسهم سؤالا ضروريا واحدا : ما حقيقة الإسلام ؟ وما صدق نبوة رسوله وما دليله ؟ ويبحثون في ذلك بحثا علميا متجردين من العمى والهوى والصَّمَم ليعرفوا معرفة علمية وعقلية سليمة أين يجب أن يقفوا من ذلك ولماذا عليهم احترام النبوة الخاتمة ودين الإسلام ؟ .

لقد تضمنت تلك الفعلة الشنيعة والعدوان الخبيث أمرين : تكذيب النبوة ، والاستهزاء بشخص النبي محمد ﷺ.

ومن هنا فقد أجرم من ذكرناهم بحق أممهم لأنهم بذلك يعرضونها للعقاب الإلهي الجماعي حسب سُنَّة الله في التعامل مع الأمم حين يجري فيها تكذيب رسول من رسل الله تعالى والاستهزاء به ، وهي سُنَّة مخيفة مرعبة شديدة .

فقد ثبت في القرآن العظيم أن كل الأقوام التي استهزأت برسول من رسل الله أو كذبته أخذها الله بالعذاب في الدنيا وتلك سُنَّته في خلقه ، فضلا عن عذاب الآخرة ، ولك أن تعرف تلك السُنَّة الإلهية مُطَّردة في التنزيل العزيز :

قال تعالى في الاستهزاء بالرسل أو بأي منهم وتكذيبهم: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١٠-١١].

وقال: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥-٢٦].

وقال: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٥].

وقال: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: ١٤]،

وقال: ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ: ٤٥]،

وقال: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الشعراء: ٦].

وقال: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنبياء: ٤١].

وقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً

يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [النحل: ١١٢-١١٣].

وقال : ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [هود:٨] .

وقال : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ* وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر : ١٠-١٢] .

وقال : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [غافر:٨٣] .

وقال : ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ * وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ

إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف : ٥-٨].

وقال: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢-٤٤] .

وقال : ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ... ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٢-٣٤] .

ومثل ذلك في القرآن كثير .

فكل ما تقدم يدل على سنة الله المطردة في سبب إنزال العذاب على المكذبين بالرسل المستهزئين بهم . ويدل على أنها سنة إلهية وقانون إلهي اطّرادها بصورة متكررة ومستمرة مع الأمم المكذبة، وأيضاً التصريح بها في بعض ما تقدم من الآيات كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٢]،

وقوله عز وجل: ﴿ وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الزخرف:٨] وقوله تعالى: ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الرعد:٣٤].

إلا أن هذه السنة الإلهية قد تكون ناجزة كما حصل لفرعون وقومه مثلا ، وقد تتأخر لفترة يعلمها الله ويكون ذلك بقصد الإملاء أي الإمهال كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [هود :٨] وقوله عز وجل ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [الرعد :٣٢] . قال القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَمْلَيْتُ ﴾: "فأمهلت الكافرين مدة ليؤمن من كان في علمي أنه يؤمن منهم فلما حق القضاء أخذتهم بالعقوبة"[(١)]، وقال ابن كثير : ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي أنظرتهم وأجلتهم ثم أخذتهم أخذة رابية [(٢)] " .

---

(١) القرطبي : تفسير القرطبي : ٩/ ٣٢٢ .
(٢) ابن كثير : تفسير ابن كثير : ٢/ ٥١٧ .

وعلى ذلك يكون أولئك الحمقى الذين استهزأوا اليوم بسيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ قد أجرموا بحق قومهم حيث عرضوهم للعقاب الإلهي الجماعي في الدنيا عاجلا أم آجلا ، وبخاصة وقد اعتدوا على نبي ورسول قال الله تعالى فيه : ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:٤٨] ، وقال له: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[الفتح:٣] ، وقال له: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[الحجر:٩٥] .

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧]، ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص:٨٨] .

أما مصيرهم في الآخرة فنكتفي بذكر مقطع واحد من التنزيل العزيز يدل عليه ويبينه ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ * ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا

بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۞ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [غافر:٦٩-٧٦] . ومثل ذلك في القرآن كثير.

٨ ـ المسؤولية عن جريمة الاستهزاء بالرسول ﷺ جماعية تضامنية:

فليست المشكلة في أن حفنة من سفلة الناس وسفهائهم اختارت لنفسها أن تنبح وتنهق علنا على النبي الكريم محمد ﷺ، تنبح ضد الصدق والأمانة والفضيلة والخلق العظيم، ولكن الطامة الكبرى أن هذا الجرم الشنيع ضد الرسول ﷺ وضد دين الإسلام لقي إقرارا وتبريرا لدى قيادات المجتمعات الغربية الأساسية بحجة (حرية التعبير)، وإزاء هذا النباح من السفهاء وسكوت أممهم بوجه عام سكوت رضا وعدم إنكار، وتبرير بعض قادتهم له علنا في مؤتمرات دولية عالمية وفي وسائل الإعلام ومنها الاتحاد الأوربي بحجة (حرية التعبير) وعدم إنكار ما جرى أو إدانته،

معلنين أن (حرية التعبير) غير قابلة للتفاوض ، وأنه لا يمكن (تقويض) حرية التعبير... إلخ[1] صار الجميع متضامنين في المسؤولية أمام الله تعالى وأمام الأمة الإسلامية عن هذا الجرم العظيم ، وهو جرم يرتب المسؤولية الشاملة العامة واستحقاق نزول العذاب الذي أنزله الله تعالى على كل المكذبين والمستهزئين بأي نبي من أنبياء الله تعالى وعلى أممهم حين أسهمت في ذلك أو سكتت عليه ولم تنكره أو

---

(١) جاء على الإنترنيت في موقع "WWW.ALNABY.COM" الصفحة الرئيسية بتأريخ ١٧/ ٢/ ٢٠٠٦ ما يأتي : " مفكرة الإسلام : أجمعت كل من الرئاسة الحالية للمجلس الأوروبي والمفوضية الأوروبية وممثلي جميع الجماعات السياسية للبرلمان الأوروبي اليوم الأربعاء في الجلسة كاملة الهيئة المنعقدة في ستراسبورج على أن حرية الصحافة قيمة رئيسة وغير قابلة للتفاوض...ومن ناحيته، أعلن رئيس المفوضية الأوروبية خوسيه مانويل باروسو أن 'حرية التعبير تشكل جزءًا من القيم الأوروبية. إن حرية التعبير غير قابلة للتفاوض، مثلها مثل باقي الحريات، يعتمد الحفاظ عليها على مسئولية الأشخاص .... وأدان باروسو المقاطعة التجارية للدانمارك، معربًا عن مساندته للحكومة الدانماركية، حيث اعتبر أن مقاطعة المنتجات الدانماركية تعد مقاطعة للمنتجات الأوروبية. ومن جهته، أشار وزير الخارجية النمساوي، متحدثًا باسم مجلس أوروبا، إلى أنه لا يمكن (تقويض) حرية التعبير.

ارتضته أو دافعت عنه .

٩ ـ مشكلة الفكر الغربي مع النبي محمد ﷺ ودين الإسلام:

ظلت الثقافة الغربية عموما ولقرون طويلة ضحية الكذب والافتراء على النبي محمد ﷺ وعلى كتابه المنزَّل من الله تعالى القرآن الكريم .. الكذب والافتراء من رجال الكنيسة ومن المستشرقين ومن المؤرخين حتى كوَّن ذلك كله عقيدة راسخة باتت من المسلَّمات في تلك الثقافة الغربية خلاصتها نفي نبوة محمد ﷺ واتهامه بالكذب وصفات قبيحة كثيرة واتهام كتابه القرآن الكريم بأنه من اختلاق محمد – بزعمهم – وظل هذا الفكر الجاهل الحاقد المتعصب- الذي واصلت صنعه ماكنات الكذب على كل المستويات الدينية والفكرية وعلى نطاق واسع، بقصد ترسيخ الكراهية والازدراء، وجعْل ذلك جدارا فاصلاً سميكا يمنع وصولْ نور الإسلام – ظل هذا الفكر يسود الثقافة الغربية بشأن محمد ﷺ وبشأن دين الإسلام ، غير

قابل للتمحيص والمناقشة وفي تحجُّر فكري كأنه فتاوى مسلَّمة يأخذها لاحق عن سابق عبر الأجيال منذ بزوغ فجر الإسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرنا وحتى الآن ، وساعد على ذلك أن الإسلام لم يدخل أوربا لكي تعرفه عن قرب تلك الشعوب التي كانت يومها غارقة في القرون الوسطى[1].

وبناء على ما تقدم نجد الآن "وبين الحين والآخر تتعالى

---

(١) وما ذكرناه يجعل الحاجة ماسة في العصر الحديث لإطلاع الشعوب الغربية وغيرها على حقيقة الإسلام عقيدة وشريعة وبخاصة والعالم اليوم أشبه بقرية صغيرة في ظل ثورة الاتصالات والمعلومات ، فلابد من السعي لامتلاك مهارة العرض من جهة الاستغلال الأمثل لتكنولوجيا المعلومات ومن جهة حسن الخطاب الملائم وذلك من أجل عرض الإسلام على نطاق واسع واختراق جدار التعتيم الذي أقامه أصحاب القرار الديني والسياسي في الغرب حاجبين به نور الإسلام عن تلك الأمم والشعوب. تلك الشعوب التي أضلوها عن سواء السبيل وصدوها عن سبيل الله فأصبحت خاسرة خسارة جماعية عظمى ببقائها غافلة عن معرفة حقيقة الإسلام ومحرومة من الهداية والرحمة التي جاء بها خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين ، ومسخرة لمعاداة رسول الله ﷺ ومعاداة دين الإسلام .

بعض الأصوات الحاقدة تحاول النيل من رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. فمنذ نحو اثني عشر قرنا يعد رسول الله ﷺ أكبر أعداء الأوربيين، كما كان الهجوم عليه هدفا للإمبراطورية البيزنطية وأوربا عموما-سواء على الصعيد العقدي أو الصعيد الدعائي-من جانب المؤرخين الأوربيين المدعومين برجال الدين النصارى في البلاد الخاضعة لسيطرة المسلمين أمثال يوحنا الدمشقي وتيودور أبو قرة وإلياس وعبد المسيح الكندي وغيرهم.

وكانت هذه الدعاية قائمة على أساطير وأكاذيب جديدة لكُتَّاب لم يعدموا الجهل بالأحداث التاريخية وكانت ثمرة هذه الدعاية ما اصطلح على تسميته منذ ثلاثة قرون في أوربا باسم أسطورة محمد "[1].

١٠- قرون طويلة من الادعاء الباطل والافتراء على نبي الإسلام ورسالته:

"إن المتتبع للمفاهيم التي يتبناها الأوربيون حول نبي الإسلام محمد ﷺ تبين جهلهم وحقدهم وتعصبهم

---

(١) محمد سيد بركة: رسول الإسلام في عيون منتقديه، بحث له منشور على الإنترنت في موقع www.alnaby.com بتاريخ ١٦/ ٢/ ٢٠٠٦

وعدوانيتهم الواضحة وأحكامهم المسبقة المتأصلة وتحزبهم الطاغي، ولا ينطبق هذا على الشعوب الجاهلة والساذجة بل ينطبق على أكبر علمائهم وفلاسفتهم ورجال الدين والمفكرين والمؤرخين، حتى أنه خلال القرون التي شهدت انطلاق الفكر الأوربي من القرن الثاني عشر وحتى السابع عشر لم يكن لدى أي من هؤلاء المفكرين الشجاعة في تحري المعرفة الحقة والموضوعية عن الإسلام ونبيه. فلا ألبرت الكبير ولا توماس الأكويني ولا روجر بيكون في القرن الثالث عشر ، ولا فرنسيس بيكون ولا باسكال ولا سبينوزا في القرن السابع عشر... لم يحاول أي من هؤلاء أن يبذل جهدا لفهم الإسلام مع أنهم كانوا يعرفون بشكل أو بآخر الفلاسفة والعلماء العرب ولم يدخروا وسعا في مهاجمة آرائهم ودينهم...

وقد شهد "رينان"[1] على تحامل أبناء جنسه وملته من المستشرقين على محمد ، يقول رينان : " لقد كتب المسيحيون

---

(١) إرنست رينان مستشرق فرنسي من كتبه (مستقبل العلم) و(تاريخ نشأة المسيحية) مات سنة ١٨٩٢م.

تاريخا غريبا عن محمد .إنه تاريخ يمتلئ بالحقد والكراهية له... لقد وصمه دانتي بالإلحاد في رواية الجحيم وأصبح اسم محمد عنده وعند غيره مرادفا لكلمة كافر أو زنديق أو كاردينالا لم يفلح في أن يصبح بابا فاخترع دينا جديدا أسماه الإسلام لينتقم به من أعدائه "[1].

ويقول المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه " باثولوجيا الإسلام " :

" إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا، بل هو مرض مريع ، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه من الخمول والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء، والإدمان على معاقرة الخمور، وارتكاب جميع القبائح، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ، فيأتون بمظاهر الصرع والذهول العقلي إلى ما لا نهاية ، ويعتادون على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة،

---

(١) محمد سيد بركة : رسول الإسلام في عيون منتقديه ، بحث له منشور على الإنترنت في موقع www.alnaby.comبتاريخ ١٦/ ٢/ ٢٠٠٦

ككراهية لحم الخنزير والخمر والموسيقى . إن الإسلام كله قائم على القسوة والفجور في اللذات ... أعتقد أن من الواجب إبادة خمس المسلمين ، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة ، وتدمير الكعبة ، ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر "[1] انتهى. فسبحان من قال في محكم كتابه: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧].

وإذا كان هذا المستشرق من فرنسا فانظر إلى الجندي الإيطالي مثلا كم هو معبأ بالمفاهيم السائدة ضد الإسلام والمسلمين ، فالجندي الإيطالي الذي كان يذهب إلى ليبيا لاحتلالها كان ينشد لأمه: " أماه.. أتمي صلاتك.. لا تبك، بل أضحكي وتأملي.. أنا ذاهب إلى طرابلس ، فرحاً مسروراً .. سأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة .. سأحارب الديانة الإسلامية .. سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن ."[2] . فانظر ماذا صنع بعقولهم الكذب والافتراء على الإسلام

---

(١) الاتجاهات الوطنية ج١ ص ٣٢١، والفكر الإسلامي الحديث ص٥١، والقومية والغزو الفكري ص ١٩٢.

(٢) محمد جلال كشك : القومية والغزو الفكري ص٢٠٨ .

وعلى نبي الإسلام وعلى القرآن !! ، أما نحن فمع ما هو مطلوب منا من العمل لدفع أذاهم وتبصيرهم بالحق سنبقى نقول : اللهم اهدهم فإنهم لا يعلمون، والله المستعان .

ذلك هو السمت العام الذي يسود أدبيات الغرب كلها – إلا ما ندر– بشأن نبوة محمد ﷺ وبشأن القرآن الكريم، ويوجد في تلك الأدبيات التي تغذي الثقافة الغربية أضعاف أضعاف الألفاظ التي ذكرناها ممتلئة جهلا وسبابا وسخرية واستهزاء!!، كل ذلك من أجل ترسيخ العداء في الثقافة الغربية وحجب نور الإسلام تماما عن الأوربيين[1].

---

(١) من ذلك مثلا ما ذكره قسيس إنجيلي معروف يُدعى (جيري فالويل) يقيم في (فيرجينيا) له برنامج أسبوعي إذاعي وتلفزيوني يصل إلى أكثر من ١٠ ملايين منزل أسبوعيا، وله جامعة خاصة أصولية تسمى جامعة الحرية، يهاجم النبي ﷺ من خلال وسائل إعلامية أمريكية كبرى، إضافة إلى موقعه الخاص على الانترنت [WWW.FALLWELL.COM] وضع في صفحته الأولى تاريخا زائفا عن النبي ﷺ ، وإليك بعض أقواله التي ذكرها في برنامجه الذي استغرق مدة (٦٠ دقيقة) في ٦/ ١٠/ ٢٠٠٢م) حيث يقول : " أنا أعتقد أن محمدا كان إرهابيا، في اعتقادي .. المسيح وضع مثالا للحب كما فعل موسى، وأنا أعتقد أن محمدا وضع مثالا عكسيا، وإنه كان لصا وقاطع طريق " . ومثل هذه الألفاظ متداولة في أدبيات الفكر الغربي وليست خاصة به .

وأمام هذه الافتراءات التي رسَّختْ في الثقافة الغربية لقرون طويلة موقفا عدوانيا ضد النبي ﷺ وضد القرآن أصبحت هذه الافتراءات والأكاذيب - كما ذكرنا - فتاوى مُسلَّمة يتلقاها لاحق عن سابق ويتواصوا بها كما تواصى منكرو النبوات من الأمم السابقة أمة بعد أمة وجيلا بعد جيل بتكذيب الرسل والأنبياء قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

قال القرطبي في التفسير : "﴿ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ﴾ أي أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب وتواطأوا عليه "[1] وقال ابن كثير:" ﴿ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ﴾ أي أوصى بعضهم بعضا بهذه المقالة"[2] .

---

(١) القرطبي: تفسير القرطبي: ١٧/ ٥٤.

(٢) ابن كثير : تفسير إبن كثير : ٤/ ٢٣٩ . وأنظر أيضا : تفسير أبو السعود ٨/ ١٤٤ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٥ ، وتفسير فتح القدير ٥/ ٩٢ ، وزاد المسير ٨/ ٤٢ ، وروح المعاني : ٢٧/ ١٩ .

وبناء على ما تقدم فقد " شهدت الفترة الماضية ارتفاع نبرة المواجهة مرة أخرى بين العالم الإسلامي من ناحية، وبين أوربا من ناحية أخرى في ما يتعلق بالهجوم على شخص النبي محمد ﷺ...

إن الفكر الغربي يتحرك وفق مجموعة من المسلَّمات الأساسية التي تخالف بقوة الدعوة المحمدية في المبادئ والمسلَّمات، وبالتالي فإن الأصل في العلاقة الفكرية بين الغرب وبين الإسلام لم يكن يوماً ما التوافق وإنما كانت العلاقة دائماً من النواحي الفكرية تميل إلى المواجهة وعدم الاتفاق.

ويجب هنا أن نفصل بين أمرين:

الأول : هو (العلاقات بين الشعوب)، والتي كانت في كثير من الأحيان تميل إلى السلام والوئام، وكذلك العلاقات السياسية التي تتبدل وتتغير وفق المصالح.

أما الأمر الثاني : فهو (الرؤى الفكرية) تجاه النبي، والتي لم تتغير كثيراً في الغرب منذ بعثة النبي ﷺ وحتى التاريخ

المعاصر، وكانت في مجملها رؤى ومواقف معادية وصدامية. إن الأحكام الفكرية لابد وأن تنطلق من الرؤى المشتركة والمستمرة عبر فترات زمنية طويلة، ولا تقاس على ما شذ من الأقوال أو الأفكار. والغرب عبر تاريخه الطويل من المواجهة الفكرية والدينية مع العالم الإسلامي كان دائماً يميل إلى الطعن في شخص النبي، وهو ما لم يتغير عبر قرون طويلة من العلاقة مع الغرب "[1] ونلخص أسباب ذلك فيما يلي :

١١ـ أسباب مشكلات الفكر الغربي مع نبي الإسلام[2]:

١٢ـأولاـ التصور الإسلامي للإله يهدم الفكر الغربي من أساسه :

إن الغرب يرى أن محمداً ﷺ قد قدم مفهوماً يمكن أن

---

(١) د. باسم خفاجي : مشكلة الفكر الغربي مع نبي الإسلام ﷺ .بحثه المنشور على الإنترنت ، موقع " www.alnaby.com " بتأريخ ١٦/ ٢/ ٢٠٠٦ .

(٢) المرجع السابق وفي الموضع نفسه، والأسباب المشار إليها في المتن مقتبسة من بحثه القيم المذكور (بتصرف مع الإبقاء على معظم عباراته وأسلوبه) .

يهدم الفكر الغربي من أساسه .. وهو مركزية الله تعالى في حياة البشرية بمعنى تلقي البشر منهج حياتهم من الله تعالى وتطبيقه في الحياة ، منهجا يتضمن التعامل مع الله تعالى في كل أمور حياتهم وإفراده وحده بالربوبية والإلوهية ، يتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام :١٦٣]، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٣] وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس: ٦١]، مقابل نظريات الغرب التي تقوم على مركزية الإنسان ، لذلك اختار الغرب أن يجعل عداء الإسلام ضمن منظومة قيمه الرئيسة لأنه بذلك يتمكن من إبقاء الفرد مركزاً للكون وإبقاء حاجاته ورغباته وشهواته لها المقام الأعلى، في مواجهة دعوة محمد ﷺ التي حافظت على مكانة الخالق جل وعلا ومركزيتها في حياة البشر.

وحول ذلك تحدثت المؤلفة البريطانية كارين

أرمسترونج– صاحبة كتاب "محمد" قائلة: "علينا أن نتذكر أن الاتجاه العدائي ضد الإسلام في الغرب هو جزء من منظومة القيم الغربية، التي بدأت في التشكل مع عصر النهضة والحملات الصليبية وهي بداية استعادة الغرب لذاته الخاصة مرة أخرى. فالقرن الحادي عشر كان بداية لأوروبا الجديدة وكانت الحملات الصليبية بمثابة أول رد فعل جماعي تقوم به أوروبا الجديدة." [1].

١٣- ثانيا- شخصية محمد ﷺ بشرا رسولا " تهدم نمط الفكر الغربي بشأن المسيح عليه الصلاة والسلام.

تمحور الفكر الغربي حول شخصية المسيح عليه السلام. وتحولت شخصية المسيح بعد تحريف الدين المسيحي إلى تجسيد للفكر الغربي حول مركزية الفرد في الكون. فقد تحول الإله في نظر المتدينين إلى شخص .. إله في صورة فرد .. دفع دمه ثمناً مقدماً لجميع خطاياهم

---

(١) كاتبة بريطانية تدين الغرب وتتهمه بالتجني على الإسلام، القاهرة: جمال شاهين، الشرق الأوسط، الأربعاء ١٨ ذو الحجة ١٤٢٦ هـ ١٨ يناير ٢٠٠٦ العدد ٩٩١٣ . أشار إليها المرجع السابق .

القادمة. وعندما سيطر الفكر النفعي على الشخصية الغربية، أصبح التعلق بشخص المسيح يمثل قمة النفعية لمن اختاروا التدين، فهو قد قام بدفع فاتورة خطاياهم حتى قبل أن يقعوا فيها، وأبقى لهم الحياة لكي يمارسوا فيها ما شاءوا من أفعال طالما أن محبة المسيح – كفرد وكإله – تسيطر على مشاعرهم. أما من تركوا الدين المسيحي بأكمله، وأصبحوا لادينيين أو ملحدين، فقد كان المسيح – بعد تحريف الدين – أيضاً مركزياً في مواقفهم الفكرية .. فهو فرد ، وبالتالي لا يمكن أن يختلف عن غيره من البشر، ومن ثم فليس هناك إله – بزعمهم –. كما أن المسيح بصورته التي قامت الكنيسة الغربية بتصويرها رحيم منعزل عن حياة الناس .. يقبل بكل معايير الحياة الإنسانية، ولا يدعو إلا إلى الحرية والمساواة .. وهي أهم قيم العلمانية ولا تصادم من تركوا الدين، وبالتالي فلا حاجة بهم إلى مصادمة المسيح عليه الصلاة والسلام .

أما العلاقة مع محمد ﷺ فهي علاقة تصادمية مع كل من التيارين الديني والعلماني في الغرب على المستوى الفكري.

فمحمد ﷺ حرص على أن يكون فرداً .. إنساناً بكل معاني الإنسانية، ودعا إلى التوحيد الخالص الذي ينافي تماما أن يعد محمد ﷺ أو غيره إلها في صورة إنسان، وأعلن أنه عبد الله ورسوله ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف:١١٠] ، ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩] ، وهذا يصادم تيار الفكر الديني والعلماني مما أسهم في معاداة نبي الإسلام.

١٤ـ ثالثا ـ تصورهم عن مقتضيات الديانتين الإسلامية والمسيحية:

يتصور المتدينون بالمسيحية في وضعها الحاضر في الفكر الغربي ، أن لهم أن يجمعوا بين كل متع الدنيا – فقد دفع ثمن ذلك المسيح عليه الصلاة والسلام – وأن يجمعوا معها أيضاً النجاة في الآخرة لأنهم أحبوا المسيح. وهكذا يتفرغ المتدين للحياة دون الحاجة الحقيقية للعمل الصالح فإن محبة

المسيح كافية للجنة. أما محمد ﷺ فإن دينه ودعوته تطلب من الإنسان الكثير، ولا تَعِد بالمقابل إلا بأملٍ ورجاءٍ في رحمة الله. كيف إذن لمن يعتنق الفكر النفعي الدنيوي أن يحب محمداً ؟! .

١٥- رابعاً- تجذُّر فكرة النبوة الكاذبة :

قامت الكنيسة الغربية تحديداً منذ بداية الإسلام بالطعن في صدق نبوة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولا يزال هذا الموقف هو السمت المشترك لمعظم المفكرين المتدينين الغربيين، رغم أن بعضهم قد تنازل ووصف النبي ببعض الصفات الإيجابية كقائد سياسي، أو مصلح إنساني، أو إنسان طموح، ولكن ليس كنبي يوحى إليه... كما تسببت هذه الرؤية المكذبة لنبوة محمد ﷺ في تكوين فكرة مسيحية استقرت في أذهان الكثير من المفكرين الدينيين في الغرب مفادها أن هذه النبوة الكاذبة في ظنهم قد أوقفت تطور الإنسانية باتجاه المسيحية. يقول أحدهم: "لقد أمكن لمحمد أن يكوّن إمبراطورية سياسية ودينية على حساب

موسى والمسيح"[1].

ويلحظ أحد المفكرين أن فكرة أن النبي لم يكن نبيا حقيقيا صادقا قد تجذرت دون أن يصدها أي ريب أو شك أو حتى محاولة للتفهم الحقيقي للرسالة الإسلامية عند مفكرين عديدين من القرون الوسطى، أمثال ريمون مارتن، وريطولدو، ومارك دي تولاد، وروجيه بيكون. وتحولت دعوة الإسلام في نظر هؤلاء إلى رسالة بشرية أملتها مشاريع المصالح السوداء الدنيوية والشخصية. أما القرآن فليس سوى مجموعة من الخرافات مستعارة من التوراة وبشكل مشوه في نظر هؤلاء[2]. ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:٦٣].

ولذلك يبقى الإسلام في نظر الغالبية العظمى من مفكري الغرب ديناً زائفاً مهما بلغت نجاحاته، ومهما برهن على أنه المهيمن على الديانات السابقة ومنها الدين المسيحي

---

(١) أشار إليه د.باسم خفاجي، مرجع سابق، وفي الموضع نفسه.
(٢) المرجع السابق وفي الموضع نفسه.

الذي تركه معظم الشعب الأوربي عملياً، ولكنه لا يزال يحرك معتقداته الفكرية في التعامل مع الآخرين بقوة.

١٦ـ خامساً ـ الهَوَس الفكري في إثبات الأفضلية وإقصاء الآخر:

إن كل تساؤل وانشغال كبير بالآخر إنما يعكس في طياته هوساً بهذا الآخر. وقد قدم الإسلام نفسه منذ ظهوره على أنه ذلك "الآخر" الذي عرفت أوربا نفسها وطموحاتها من خلال مقابلته والمصادمات معه. فرغم أن الإسلام في بداية انتشاره لم يولِ الغرب أي اهتمام – لتخلف الغرب حينها – إلا أن الإسلام وشخصية النبي محمد ﷺ بوصفها تجسيداً للكمال الإنساني لدى أنصار الإسلام قد أصبحا محور الهجوم المستمر لمفكري الغرب لتأكيد فكرة أن الغرب أفضل من الشرق. حقاً إن أوربا – بوجه عام – قد تخلت عن الفكرة المسيحية واتجهت نحو العلمانية ولكنها لا تستطيع أن تتحرر مطلقاً من أثر الفكر المسيحي على شعوبها. وهذا الفكر المسيحي الغربي قد توحَّد عبر القرون

الماضية حول فكرة معاداة الإسلام، وتقديم نموذج شخصية المسيح عليه السلام – بعد تحريفها – في مواجهة شخصية النبي محمد ﷺ، وهو ما يفسر الهوس الغربي بالهجوم على النبي ﷺ.

لذلك استمر العداء رغم اختلاف القوى المحركة له – سواء كانت دينية أم علمانية – واستمر الهوس بالعالم الإسلامي. وظهرت الانتقائية الفكرية الغربية التي ترى أن الإمبريالية ليست إلا مهمة حضارية للارتقاء بشعوب الأرض، وأن مقاومتها من قبل المسلمين الذين يتمثلون شخصية نبيهم تعيق هذا الارتقاء وأن المسلمين ليسوا إلا برابرة يجب القضاء عليهم من أجل استمرار المهمة الحضارية نحو هدفها في تنقية الجنس البشري من كل أنواع البرابرة، وعلى رأسهم أنصار محمد ﷺ.

١٧ـ سادساً ـ مرآة فاضحة لواقع الغرب:

يرى البعض في الغرب في شخصية النبي ﷺ أنموذجاً متكاملاً لنوع من الكمال الإنساني الذي لا يمكن للغرب

بأفكاره ونظرياته وممارساته أن يصل إليها. وعند هذا الفريق من الغربيين، يصبح القضاء على هذا النموذج هماً حقيقياً بذاته. فكأن حياة النبي محمد ﷺ تمثل ذلك الضمير الذي يوخز الغرب في جنباته، وكأنه مرآة فاضحة توضح لهم بالدليل الواقعي مدى التردي الذي وصل إليه حال الشخصية الغربية نتيجة لابتعادها عن النموذج المحمدي... فهناك فراغ روحي ضخم في الغرب بالعموم، ويظهر ذلك من ارتفاع معدلات الجريمة والإدمان والانتحار وانتشار الرذائل، بل وتصديرها إلى كل أنحاء العالم. وفي المقابل تظهر الشخصية المسلمة التي يمثلها النبي ﷺ كمقابل حاد في مواجهته لتلك الشخصية الغربية. ومن هنا نجد الهجوم الشديد والمتكرر على شخص النبي ﷺ.

١٨ـ سابعاً ـ مشروعٌ موازٍ للغرب:

إن إحدى مشكلات عداء الغرب التاريخي للنبي ﷺ، هو أنه جاء بنظام سياسي وفكري متكامل ينازع الغرب في المسلَّمات الأساسية، وكذلك في طرق التنظيم والإدارة

وسياسة المجتمعات، وأخيراً في نمط العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، وبين المجتمعات المختلفة. إنه ببساطة نظام متكامل موازٍ للنظام الغربي، ولا يلتقي معه، وإنما يقدم بديلاً قوياً وخطيراً له... يقول غولدزيهر: إن الإسلام قد جعل الدين دنيوياً لقد أراد أن يبني حكماً لهذا العالم بوسائل هذا العالم."[1].

لذلك هاجم المفكرون الغربيون بشدة المشروع الحضاري الإسلامي، واعتبروه خطراً كبيراً يهدد سيادة الفكر الغربي وانتصار الحضارة الغربية، ونهاية التاريخ. ولم يبدأ هذا الأمر مع أحداث سبتمبر، أو مع نشوء فكرة صدام الحضارات أو نظرية نهاية التاريخ، وإنما سبق ذلك بقرون عدة، واستمر يغذي الشخصية الغربية بمبررات العداء للعالم الإسلامي ولشخصية النبي محمد ﷺ...

---

(١) أوروبا والإسلام "صدام الثقافة والحداثة"، هشام جعيط، دار الطليعة، ٢٠٠١، ص٨٥.

١٩ـ ثامناً ـ إحياء فكرة المواجهة :

يرى الكثير من المفكرين الغربيين أن محمداً ﷺ هو من تسبب في إحياء روح المقاومة والمواجهة في حياة العرب والمسلمين، وأن الدين الإسلامي هو المحرك الرئيس لجميع أفكار المقاومة الموجودة في أفكار وتصرفات الشعوب الإسلامية. والمقاومة هنا - ليست فقط فكرة مقاومة العدوان - وإنما هي كل أشكال الانتصار على النفس وعلى الآخر.

يرى المفكرون الغربيون أن رسالة محمد ﷺ، وأفكار محمد، ودعوة محمد تقدم الرصيد الفكري والنفسي والعقدي لجهد المسلم في الانتصار على نفسه وعدم التسليم لشهوات الحياة ومتع الدنيا التي يتفنن الغرب في محاولة تقديمها للأمة. كما أن المقاومة تمتد لتمنع الكثير من محاولات الهيمنة الاستعمارية والفكرية والثقافية على الحياة الإسلامية والعربية من قبل الغرب. وكل ذلك يدعوهم لإلقاء اللوم على محمد ﷺ.

٢٠ـ صفوة القول :

إن عداء الغرب للنبي محمد ﷺ هو عداء مفهوم من المنطلقات الفكرية الغربية، وإن كان غير مقبول على الإطلاق تحت أي مبرر أو تفسير.

تلك هي أهم المعالم الفكرية لمشكلة الغرب مع نبي الإسلام. فرسول الله صلوات الله وسلامه عليه قد جسد صورة مخالفة تماماً للإنسان عن الصورة التي ارتبط بها المسيحيون عن المسيح عليه الصلاة والسلام كما يصورونه...

إن محمداً ﷺ قد أحيا فكرة القوة وعدم الخوف من المواجهة، وهي فكرة خطيرة في نظر أصحاب مشروعات الهيمنة والسيطرة على واقع الأمة الإسلامية وثرواتها ومستقبلها.

إن محمداً ﷺ قد حارب من أجل أن ينتصر الإنسان على ذاته .. لا أن يخضع لها، وهذا الأمر يحارب ويصادم تحويل كل شيء في الكون إلى سلعة، وتحويل كل فرد إلى مستهلك.

لقد قدم رسول الله ﷺ نموذجاً متكاملاً لحياة موازية للغرب .. لا تلتقي معه اضطرارا .. ولا تتنازل له خوفاً .. والأهم من كل ذلك أنه محبوب بشدة من المسلمين .. معروف لكل العالم .. نجح بكل المعايير الغربية .. ولكنه رفض كل مفاهيم الغرب .. هو -عندهم - نموذج يجب القضاء عليه .. ومن المؤكد أن ذلك غير ممكن لأن إرادة الخالق أقوى من عبث المخلوقين [1] .

٢١- ختم النبوات والمعجزة المستمرة:

ختم الله تعالى النبوات – بين يدي الساعة – بنبوة محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين، أرسله إلى الناس كافة، ونسخ بشريعته الشرائع السماوية السابقة ، وأمر الخلق جميعاً بالإيمان به واتباع دينه، وأيده بأضعاف أضعاف ما أيد به الأنبياء السابقين من المعجزات المؤقتة بوقتها التي شاهدها

---

(١) د. باسم خفاجي: مشكلة الفكر الغربي مع نبي الإسلام ﷺ، بحثه القيم والمتميز المنشور على الإنترنت، موقع www.alnaby.com بتاريخ ١٦/ ٢/ ٢٠٠٦ (بتصرف) .

مَنْ شاهدها ودُوِّنت ونُقِلتْ إلينا مُدوَّنة ، ومنها بالنسبة للنبي محمد ﷺ الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، و شفاء المريض بلمسه، ورد بصر الأعمى إليه، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة وغير ذلك كثير، سيرد ذكر شيء منها في المباحث اللاحقة .

ولكن الله تعالى أفرده من بين الأنبياء جميعاً بمعجزة مستمرة دائمة هي القرآن الكريم لإثبات صدق نبوته مع كل جيل من الأجيال إلى يوم القيامة بدلالة عجز الخلق جميعاً عن الإتيان بمثل القرآن أو بعشر سور أو بسورة واحدة ، وهو ما تحداهم به القرآن وأثبت عجزهم عن كسر التحدي مما ينتج عنه العلم اليقيني بأن القرآن كتاب الله لا ريب فيه ، والعلم اليقيني بصدق نبوة محمد ﷺ، ويضطر العقول والبصائر إلى الإذعان الكامل والتسليم المطلق دون أدنى ريب تحت قوة الدليل القاطع ..

معجزة مستمرة : إعجازا لغويا ، وإعجازا علميا، وإعجازا غيبيا مستقبليا يصدقه الواقع المشهود ، وإعجازا

تشريعيا، بهر ولا يزال ، علماء القانون والاجتماع والاقتصاد والسياسة وغيرهم بأسراره التشريعية العظمى التي يستحيل صدورها من رجل أمي عاش في صحراء الجزيرة العربية لولا أنه النبي الذي يوحى إليه من ربه جل جلاله ، هذا مع توافر شروط التحدي الصحيح الذي تحداهم به القرآن مِنْ: دخول التحدي في اختصاص من وُجِّهَ إليهم - وهم العرب الأقحاح أصحاب الفصاحة والبلاغة، والبديع والبيان، والنثر والشعر والمعلقات- ، ووجود الدواعي لكسر هذا التحدي عند المخالفين ، وانتفاء الموانع أمامهم ، ووجود الوقت الكافي لكسر التحدي ، ومع ذلك عجز الجميع ورفعوا الراية البيضاء عجزاً وصَغاراً، وإذا عجز العرب فالعجم أعجز، وإذا عجز العرب والعجم فالخلق كلهم عاجزون عن الإتيان بسورة من مثل القرآن الكريم، ليثبت بذلك أن القرآن كلام الله المعجز ، وأن محمدا ﷺ الذي أوحي إليه هذا القرآن من ربه تعالى هو رسول الله حقا وصدقا ويقينا بالدليل القاطع والبرهان الساطع ، وأنجز الله وعده بحفظ هذه المعجزة - وهي موجودة في بيتك وبيتي

وفي الأرض كلها تحكي خبرا أخبر الله تعالى به قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام أن الله سيحفظ هذا القرآن ولا يمكن المساس به عبر الدهر ، وها هو الواقع المشهود يصدق ذلك ويطابقه، وذلك بحد ذاته نوع من أنواع الإعجاز الغيبي-.. أنجز الله وعده بحفظه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] ، فكل يد تمتد إلى القرآن بالزيادة والنقصان يقطعها الله إلى يوم القيامة .

وقد استمر هذا الإعجاز من جانب القرآن ، والعجز من جانب البشر أربعة عشر قرناً، وسيبقى إلى يوم القيامة شاهداً بصدق النبوة ومُيسرا للخلق سبيل الإيمان اليقيني على بصيرة قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤]، وقال أيضاً: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

[هود : ١٣]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور:٣٣-٣٤] وقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء ٨٨].

وهكذا أبقى الله تعالى إلى يوم القيامة نبوة قائمة، الإيمان بها واجب على الخلق جميعاً، خطابها إلى أهل الأرض جميعا، والناس – بعد بعثة محمد ﷺ- مسؤولون عنها جميعا يوم القيامة ، معجزتها قائمة مستمرة، وهذا من أعظم الرحمة بالخلق وتيسير سبل الهداية لهم، قال تعالى: ﴿قُل بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس: ٥٨] قال القرطبي: " قال أبو سعيد الخدري وابن عباس رضي الله عنهما، فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام"[1] .

---

(١) تفسير القرطبي: ٨/ ٣٥٣.

٢٢ـ استمرار تحدي القرآن للمخالفين ودلالته :

" وتحدي القرآن للمخالفين ظل قائما وموجها إلى كل مرتاب في نبوة محمد ﷺ وفي نسبة القرآن إلى الله تعالى ولا يزال هذا التحدي قائما حتى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فما دلالة ذلك؟؟

دلالته واضحة وهي ثبوت نبوة محمد ﷺ بالدليل القاطع والبرهان الساطع والحجة القائمة الموجودة بين أيدينا الآن التي لا يستطيع أي مكابر أن ينكرها أو يغالط فيها . وإذا عرفنا أن هذا الدليل ظل قائما عبر القرون الطويلة منذ عهد نبوة محمد ﷺ وحتى الآن ، وأن الإسلام واجه مختلف الخصوم والمعاندين والكفار من أصحاب الأفكار الباطلة وأنهم بذلوا كل جهد مستطاع لديهم لطعن الإسلام والتشكيك فيه والدس عليه وتلويث أفكاره وعقائده ومع هذا لم يجرأوا على إجابة تحديه وكسره .. نقول: إذا عرفنا ذلك عرفنا قوة هذا الدليل ، دليل إعجاز القرآن على صدق نبوة محمد ﷺ وصدق رسالته ... إن دليلا ثبت صدقه مدة

أربعة عشر قرنا هو أعظم دليل يقام لإثبات نبوة محمد ﷺ"[1].

٢٣- إنكار نبوة محمد ﷺ تنقيص بعقل الإنسان

وبناء على ما تقدم نعتبر إنكار نبوة محمد ﷺ بعد ظهور الدليل القاطع على نبوته وصدقه تنقيصا بالعقل البشري السوي، وجحودا ما بعده جحود، وعنادا محضا، وجرما كبيرا، ومن ثم كان جزاؤه غليظا عند الله، وصاحبه ينخرط في عداد الكفرة المتمردين على الله، هذه واحدة، والأخرى أن من ينكر نبوة محمد فلا سبيل له إطلاقا للإيمان الصحيح بأي نبي، لأن من ينكر وجود الشمس وهو يراها لا سبيل له إلى الإيمان بوجود نجم لا يراه، وإذا آمن به كان متناقضا في إيمانه هذا وإنكاره ذاك[2] !!.

٢٤- إنكار نبوة محمد ﷺ والاستهزاء بها هدم للنبوات جميعا:

وبيان ذلك: أنه في عالم العلم والمناظرة الحقة وكما هو

---

(١) أ.د. عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة ص٣١-٣٢.
(٢) المرجع السابق ص٣٢.

معروف في علم العقائد وعلم مقارنة الأديان فإن العقائد الدينية ومنها النبوات لا تثبت إلا بالأدلة القطعية اليقينية ، فلا يكفي لإثباتها الأدلة الظنية ، ولا يوجد بين أيدينا وفي العالم كله دليل حي قطعي يقيني على صدق النبوات السابقة غير القرآن الكريم وحده الذي ثبتت نسبته إلى الله تعالى قطعا بدليل إعجازه ، وثبت صحة نقله عن الموحى إليه به من الله وهو النبي ﷺ بالنقل المتواتر الذي يفيد القطع واليقين ، فقد كتب أولا بأول بخلاف الكتب السماوية السابقة ثم نقلته أجيال المسلمين جيلا عن جيل محفوظا في الصدور ومكتوبا في السطور ، مما يفيد العلم القطعي اليقيني بصحة نسبته إلى النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه تبارك وتعالى ، وكل هذا غير متوافر للكتب السماوية السابقة، وعلى ذلك فالدليل القطعي الوحيد على صدق النبوات السابقة هو القرآن الكريم الثابت قطعا صدق كل ما أخبر عنه ، ومن هنا كان " إثبات نبوة محمد ﷺ إثباتا لسائر النبوات لأن هذه النبوات ذكرها القرآن وذكر

أصحابها وهم الرسل الكرام ، فإذا ثبت بدليل الإعجاز – والنقل المتواتر – أن القرآن من عند الله وأن محمدا رسول الله ثبت كل ما في القرآن وثبت كل ما أخبر به محمد ﷺ، ونحن نقول هذا لأنه ليس بين أيدينا دليل قاطع حي على إثبات نبوة أي نبي قبل محمد ﷺ، وعلى هذا فإن من ينكر نبوة محمد ﷺ ويريد أن يدعو إلى الإيمان بنبوة غيره يكون متناقضا ويعطي الحجة بيد المدعو على عدم التصديق بأصل النبوات ، ولهذا أيضا كان الكفر برسالة أي رسول كفرا برسالة الإسلام لأنه يتضمن التكذيب لبعض ما جاء في القرآن "[1].

ولكي نعلم صحة ما قلناه من عدم وجود دليل حي قاطع بين أيدينا على صدق النبوات السابقة غير القرآن الكريم وحده ، وأن إثبات نبوة محمد ﷺ هو إثبات لسائر النبوات ، والتشكيك بها هو هدم لسائر النبوات

---

(١) د. عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ص٣٢-٣٣ .

نسوق الآتي:

٢٥ـ القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة :

من المعلوم أن " أصول الرسالات السماوية وعقائدها وهدفها واحد وهو توجيه البشر إلى طريق الصلاح ، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى:١٣]، وقال سبحانه : ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩] ، ولذلك طلب القرآن الإيمان بجميع الرسل وما أنزل إليهم من كتب، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [البقرة:٤] .

لكن الإيمان المطلوب شرعا بالكتب السماوية – السابقة – إنما يراد به (التصديق) لأن هذه الكتب كانت من عند الله تعالى وكانت – يوم أنزلت – صادقة وما جاءت إلا للغرض الذي جاء لإتمامه القرآن ، فما جاء بها مخالفا للقرآن فهو مُحَرَّفٌ قطعا لا يُعوَّلُ عليه ، وهنا لا بد أن نبين أهم فروق

القرآن الكريم عن الكتب السماوية السابقة لكي يتبين لنا أنه لا يوجد بين أيدينا دليل حي يتصف علميا بالقطعية غير القرآن الكريم على صدق النبوات السابقة ، وتلك الفروق بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة التي أنزلت على الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام نذكر أهمها فيما يلي نقلا عن العلماء والباحثين المتخصصين في علم العقائد وعلم مقارنة الأديان :

"**أولا** – الكتب التي أنزلت قبل القرآن ضاعت نسخها الأصلية ولم يبق منها إلا ترجمتها ، أما القرآن فهو محفوظ بلفظه وبكلماته التي أنزلها الله تعالى على نبيه محمد ﷺ ووصل إلينا بهذا الشكل متواترا .

ثانيا – اختلط كلام الناس من فقهاء أو مفسرين أو مؤرخين بتلك الكتب ، أما القرآن فلم يختلط به شيء حتى من كلام رسول الله ﷺ. ولقد منع النبي ﷺ من كتابة الحديث في بداية نزول القرآن لئلا يختلط الحديث بالقرآن . وكتب التفسير والحديث والفقه مستقلة تماما عن القرآن كما

هو معروف .

ثالثا - لم يستطع أحد أن يثبت باستناد تأريخي أن أيا من هذه الكتب الموجودة الآن نزل على النبي الذي نسب إليه ذلك الكتاب ، كما لم يمكن تعيين الزمن الذي نزل به . أما القرآن فالتاريخ قاطع بشواهده أنه نزل على محمد ﷺ وأن آياته منها ما عين مكان نزوله أو زمنه أو سببه .

رابعا –لغات الكتب السماوية القديمة اندرست منذ زمن طويل فلم نجد متكلما بها بل إن من يفهمها قليل جدا، أما لغة القرآن الكريم فهي لغة حية يتكلم بها إلى الآن مئات الملايين من المسلمين في أقطار العالم المختلفة .

خامسا–أحكام كل من الكتب القديمة كما يبدو من قراءتها خاصة بالزمن وبالأمة التي نزل فيها ذلك الكتاب وجاء تلبية لحاجاته ووفق أحواله ، في حين أن أحكام القرآن عامة لجميع الناس ولكل زمان .

سادسا–كل من الكتب القديمة وإن كان فيه من الدعوة

إلى الخير والصلاح والأخلاق فإنه لم يستوف الفضائل ، لكن القرآن استوفى الفضائل كاملة سواءٌ نُصَّ عليها في الكتاب القديم أم لم يُنص .

سابعا – تسرب إلى كل من الكتب القديمة التحريف والأمور التي لا توافق العقل وتقوم على الظلم بل تحوي أمورا من قبيل الفحشاء والمنكر ، أما القرآن فإنه صلاح كله ومنزه عن الفاحشة وليس فيه ما يخالف العقل"[1] .

"**ثامنا** – الشرائع القديمة اختصت بالعلاج الروحي أما الشريعة الإسلامية فقد وضعت المبادئ الكفيلة بحل مشاكل الإنسان وتلبية حاجاته المادية والروحية في كل زمان ومكان .

---

(١) أ. د . قحطان الدوري ود. رشدي عليان : أصول الدين الإسلامي ط٥، دار الفكر، عمان ص ٢١٤-٢١٥ ، وانظر أيضا : مبادئ الإسلام للسيد أبو الأعلى المودودي ص ٨٠-٨٤، وانظر أيضا الفصل الذي كتبه العالم الجليل رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق الذي أثبت فيه تحريف الكتب السماوية التي سبقت القرآن .

تاسعا – من غير الممكن إثبات صحة محتوى الكتب السماوية القديمة كالتوراة والإنجيل –بوضعها الحالي- لأنه ليس هنالك توراة واحدة أو إنجيل واحد، وإنما هي توراة وأناجيل عدة، ولا يمكن أن تكون كلها صحيحة وهي مختلفة بعضها عن بعض، لكن ليس هنالك أكثر من قرآن[1].

هذه المزايا هي التي لأجلها أمر الناس باتباع القرآن وحده دون سواه "[2]، وأيضا فإنه بعد بعثة محمد ﷺ توجَّب على الناس كافة الإيمان به واتباع شريعته.

ومما تقدم يتبين أن الاعتماد على الكتب السماوية السابقة الموجودة حاليا وعلى الروايات التاريخية لإثبات النبوات السابقة وإثبات صدقها لا يشكل في ميدان الإثبات العلمي غير دليل ظني قابل للرد عليه، وأنه لا تثبت به العقائد الدينية ومنها النبوات، وأن الدليل القاطع الوحيد على

---

(١) أضفنا هذه الفقرة وهي ليست من جملة الاقتباس المشار إليه.
(٢) المرجع السابق ص ٢١٥.

إثبات صدق النبوات السابقة هو القرآن الكريم وحده ، ومن هنا يثبت علميا وعقليا صحة ما قلناه قبل قليل من أن إثبات نبوة محمد ﷺ ينتج عنه إثبات سائر النبوات بالدليل القطعي ، والطعن في نبوة محمد ﷺ ينتج عنه هدم سائر النبوات حيث لا يبقى معنا دليل قاطع حي على حقيقتها وصدقها[1].

فَليُجِبْنا الجَهلةُ الحمقى المستهزئون بالرسول ﷺ وبنبوته ومَنْ برر لهم فعلتهم الشنيعة ، أدعياء (حرية التعبير) عما أوردناه هنا من الأدلة العلمية والعقلية .

---

(١) ففي غياب الإستدلال بالقرآن الكريم يمكن أن ينازع المبطلون والملحدون ومنكرو النبوات ويجادلوا في أصل صحة النبوات من غير أن يصدهم دليل قاطع يجعل اعتراضهم لا عبرة به ولا قيمة له في ميدان الحُجِيَّة وبمعيار العقل السليم أمام الدليل القاطع الذي لا يقبل الإحتمال أو الرد عليه وهو القرآن الكريم الذي أثبت صدق تلك النبوات والرسالات جمعياً من حيث الأصل وأثبت صدق الأنبياء الكرام الذين أرسلوا بها.

٢٦ـ نبوة محمد ﷺ رحمة للعالمين وليست إرهابا :

أخبر الله تعالى أنه أرسل النبي محمداً ﷺ رحمة للعالمين، قال عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وأن حَقَّ رسالة محمد ﷺ، وما تضمنت من إنزال القرآن العظيم أن تُسْتَقبل بالابتهاج والسرور والفرح لأنها سبب سعادة الإنسان في الدارين كما قال جلَّ جلاله: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

ولكن هذه الحقيقة العظمى لا يمكن معرفتها مع الجهل بالإسلام وتعاليمه - عقيدة، وأخلاقا ، وشريعة - والجهل بسيرة المصطفى ﷺ ، لدى عموم العالم الغربي فضلا عن الكثير من الدراسات الاستشراقية السائدة بصورة أساسية في الغرب والتي أكثرت من الافتراء قديما وحديثا على الإسلام وعلى رسوله ﷺ لتضليل الثقافة الغربية عموما بشأن الإسلام، وكل ذلك قد أنشأ رأيا عاما مغلوطا ومشوها عن الإسلام، ومع هذا لا يعذر أصحابه بجهلهم هذا، لأن العاقل البالغ يبقى مسؤولا ولا يعذره في ميدان

العلم، وكذلك في الآخرة – بشأن المسؤولية عن الإيمان بنبوَّة محمد ﷺ – أنه كان في الدنيا تابعا مضللا أو مخدوعا .. نقول إن هذا الجهل ومعه العداء والتعصب والعناد كان أحد الأسباب وراء نشر الصور المشينة والخبيثة التي تصور النبي ﷺ – برأه الله مما قالوا – برسوم كاريكاتيرية ترمز إلى الإرهاب والعدوان، وحيث إن هذا النوع من التفكير الجاهل السقيم تجاه من أرسله الله تعالى رحمة للعالمين ناشئ أيضا – فوق الجهل والضلال والإضلال[1] – مِنْ علم الجميع أن رسول الله ﷺ قد فُتحت له البلاد شرقا وغربا وأسلمت على رسالته أمم كثيرة من أهل الأرض ودخل الناس في دين الله أفواجا وأنشأت رسالته أعظم حضارة عرفها التأريخ لا يستطيع إنكارها منكر أو مكابر وكان وسيلة ذلك جهاد النبي والمؤمنين معه بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم فقد قال الظالمون والحاقدون والمغرضون أن

---

(١) كما قال تعالى : ﴿ قُل يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٧٧] .

إسلام من أسلم من الأمم والشعوب تم بالقوة وبالسيف وبالإكراه ، وبمصطلح القاموس المقلوب تم بالإرهاب !!، وذلك ما رمزت له بعض الرسوم الكاريكاتيرية في جريمة الاستهزاء بالنبي ﷺ.

لذلك كان من تمام بيان "الحقائق الأساسية التي لا غنى للمسلم عن معرفتها" والتي هي موضوع هذا المبحث، بيان الحق والصواب في جهاد النبي ﷺومعه المؤمنون ، من الناحية العلمية ومن ناحية الواقع التاريخي - باختصار شديد - بعيدا عن جهل الجاهلين ، فالعلم حجة على الجهل وليس العكس .

٢٧- أنواع جهاد النبي ﷺوالمؤمنين من حيث الغاية منه:

فهذا الجهاد نوعان:

الأول: جهاد الفتح (التبليغ) من أجل تبليغ الإسلام وإخراج الناس من عبودية العباد إلى عبودية الله رحمة بهم.

والثاني: جهاد الدفع وهو مجاهدة من يعتدون على أي جزء من دار الإسلام. وهو مكفول بأنه حق الدفاع الشرعي لكل الأمم والشعوب في جميع الشرائع السماوية،والمواثيق

الدولية .

وينحصر كلامنا في النوع الأول لأنه موضوع افتراء الصحف الغربية التي أساءت إلى النبي الكريم ﷺ بالدرجة الأساس والتي استوحت ذلك من الفكر السائد في الغرب الذي يصف رسالة الإسلام بالإرهاب . ونحيل القارئ الكريم بشأن جهاد (الدفع) إلى مراجعه [1] .

٢٨- جهاد النبي ﷺ والمؤمنين معه من أجل تبليغ دعوة الإسلام وثمراته:

فهذا النوع من الجهاد يتعلق بتبليغ دعوة الإسلام للناس خارج دار الإسلام، وذلك بإزالة الموانع من أمام هذا التبليغ ليصل إلى الأمم والشعوب وقد كان ذلك مستلزما تخليصها من العبودية للآلهة المزعومة من البشر - أمثال كسرى الفرس وهِرَقْل الروم - التي مارست الحكم المطلق على الشعوب وحرمتها من حقوق الإنسان وحرياته الأساسية وعلى رأسها حرية العقيدة ، فإذا كان الحكام حينها آلهة أو

---

(١) ومنها كتابنا " موسوعة المسلم في التوبة والترقي في مدارج الإيمان " : ٢/ ٨٤٨ وما بعدها .

مفوضين من قبل الآلهة – بزعمهم – فمن الطبيعي أن تكون سلطاتهم مطلقة وأن يكون الناس عبيدا لا حقوق لهم بما في ذلك اختيار العقيدة التي يريدون، فكانت إزالة تلك الموانع التي ليس بينها وبين المسلمين ميثاق (معاهدة سلام) – والتي مارست السلطان المطلق والإرهاب على تلك الأمم والشعوب وحُرمتها من حرية العقيدة واعتدت على المسلمين أيضاً– السبيل الوحيد لكي يحصل الناس على حريتهم ثم يختاروا بحرية تامة ومن غير إكراه العقيدة الدينية التي يريدون ، عن طريق وصول الإسلام إليهم وعرضه عليهم.. يختاروا بحرية تامة بينه وبين ما هم عليه، ويتحملوا مسؤولية هذا الاختيار في الآخرة ، وهذا هو موضوع امتحان بني آدم في الحياة الدنيا الذي يتقرر بناء عليه مستقبلهم الأبدي الخالد في الآخرة .. موضوع الامتحان الذي ليس من حق أحد أن يصادره أو يؤثر فيه سلباً ما دام أحد لا يستطيع أن يتعهد لأحد أن ينجيه في الآخرة أو يجادل الله عنه يوم القيامة . وما مَثَلُ مَنْ يتعهد لأحد بمثل ذلك إلا كمثل من يحرر لأحد شيكاً بدون رصيد مسحوباً على بنك مفلس !! .

٢٩ـ شهادة الواقع: جهاد التبليغ أمّنَ حرية العقيدة، وهداية الناس:

وقد أثبت الواقع أنه بعد إزالة الموانع والمؤثرات- المضِلَّة والمتألِّهة بالباطل- عن تلك الأمم والشعوب والإطاحة بها من قبل الإسلام دخل الناس في دين الله أفواجاً مختارين غير مكرهين، وصار أحدهم بعد أن عرف طريق الهداية يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار، فأبصر بعد العمى، وسمِع بعد الوَقْر، واهتدى بعد الغي، وعَلِم بعد الجهل، فصار منهم العلماء، والفقهاء، والقضاة، وذاق جميع من أسلم منهم طعم حياة الإنسان المكرم بالإسلام بعد العبودية للعباد وللشهوات، وتحولوا من حياة القطيع إلى حياة عباد الرحمن، وصار منهم من يَودّ لو يشتري رؤية رسول الله ﷺ بأهله وماله [1].

---

(١) الطبراني: المعجم الأوسط ج: ٧ ص: ٨٩ حديث رقم (٦٩٣٨) قال: حدثنا محمد بن علي المروزي، ثنا الحسن بن يحيى الأزدي، ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفي، ثنا عبد الرحمن بن أبي الزياد عن عمرو بن أبي عمرو عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (إن ناسا من أمتي يأتون من بعدي يود أحدهم أن يشتري رؤيتي بأهله وماله).

فالغاية من هذا الجهاد إذن وهدفه الأساس : الدفاع عن حرية العقيدة في كوكب الأرض للناس كافة ودفع العدوان وعرض الإسلام عليهم وتبليغهم إياه ليختاروا اختيارا حرا، وهداية الناس رحمة بهم، وإخراجهم من ظلمات عبادة العباد إلى نور عبادة الله تعالى، ومن أجل أن تكون السيادة في الأرض لمبادىء الحق، والعدل والحكمة، والإحسان والرحمة ، التي شرعها الله تعالى، وليس لشهوات الملوك والأباطرة الذين مارسوا الحكم المطلق على بني آدم، وهذا كله بعض المعنى لقوله تعالى : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

٣٠- جهاد التبليغ، وسيادة الحقوق والحريات، وبناء الحضارة:

ثم كانت نتيجة ذلك كله أن أنشأ الإسلام أعظم حضارة (روحية ومادية) عرفها التأريخ .

حضارة صالحة مُصلحة جلبت لمئات الملايين من البشر سعادة الدارين وسعد بها العالم ردحا من الزمن ، وقدمت للعالم أسس العلوم الصرفة والعلوم الإنسانية على السواء يوم كان الغرب غارقا في الجهل وفي حياة القطيع ويوم كانت

حقوق الإنسان وحرياته الأساسية كما شرعها الإسلام مثلا أعلى للعالم كله لم يستطع القانون في العالم كله رغم التطور الطويل أن يدانيها حتى الوقت الحاضر من حيث شمولها وعمومها ودقتها ووفاؤها بمتطلبات الإنسان الروحية والمادية، وابتناؤها على منظومة ثلاثية واسعة الأحكام لتأمين تطبيقها في الواقع جَعَلها الإسلام الأساس الفكري الذي يقوم عليه نظام الحقوق والحريات مِنْ: نظام عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر بكل آثارها العظمى، ونظام الأخلاق الذي جعله الإسلام سائدا في المجتمع والدولة ودينا واجب الإتباع بكل آثاره العظمى أيضا، ونظام العبادات الذي يزكي النفوس فتصبح نفوسا زكية متنافرة ذاتيا مع انتهاكات حقوق الإنسان وبكل آثاره العظمى أيضا.

حتى غدا المجتمع بسبب هذا التشريع الحكيم باقة زهر لا شوك فيها وتمتع الناس بحقوقهم وحرياتهم على أوسع نطاق، وجفَّت منابع الظلم والبغي والعدوان في المجتمع، ولحقت بها منابع الكفر والفسوق والعصيان، خلال عصور

الإسلام الذهبية ، وسعد الناس بالإسلام ديناً ودنيا في مجتمع سادت فيه شريعة العدل التام، والإحسان والحكمة، والمساواة والرحمة ، ونال فيه غير المسلمين من الرعايا من حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ما لم تنل مثله أية أقلية في الدولة الحديثة من معاملتهم بـ (البر والقسط) وحمايتهم - بتوجيه من الإسلام - في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأماكن عباداتهم وشعائرهم الدينية وغير ذلك.

فماذا يَنْقِم الحاسدون ؟.. ماذا يَنْقِمون على الفتوحات الإسلامية التي أنتجت هذه العظمة كلها والتي جعلت المنصفين والشرفاء غير أولي الغرض والحقد والحسد من العلماء والمؤرخين والباحثين والدارسين ينحنون لها إعجابا وتقديرا[1]. فما غرضهم باتهامها واتهام نبي الإسلام بالإرهاب ؟! .

---

(١) انظر كتابنا : النظام السياسي الإسلامي مقارنا بالدولة القانونية ص ١٠٩ وما بعدها .

لقد كانت – بتوجيه من الإسلام – حضارة نقية صافية شريفة، قاعدتها التقوى، وتنافُسُ أبنائها بالإيمان والعمل الصالح، وقانونها شريعة الله السمحة ذات العدل والرحمة والإحسان والحكمة .. فماذا ينقمون منها إلا أن رسول الإسلام قد فتح الله لرسالته البلاد شرقا وغربا ودخل الناس في دين الله أفواجا؟؟ فأصيبت بضاعتهم المزجاة بالبوار ؟ .

فهذه هي بعض نتائج جهاد النبي ﷺ والمؤمنين معه .. أنشأ تلك الحضارة العظيمة ذات المثل والقيم العليا . فما غرضهم باتهام نبي الإسلام بالإرهاب ؟ .

حضارة إسلامية خالية - على الصعيد الدولي – من أسلحة الدمار الشامل !! وخالية من إلقاء القنابل الذرية على المدن الآمنة وقتل الملايين من البشر، وليس فيها مفسدون في الأرض يؤججون نار الحروب كالحربين العالميتين الأولى والثانية التي حصدت عشرات الملايين من بني آدم وأسكنتهم القبور من أجل مصالح دنيوية فاسدة،

وليس فيها إرهاب الدولة الذي يمارسه قطب واحد على الأمم والشعوب، وخالية من الكذب والنفاق الدولي، وخالية من تطويع القانون الدولي ليمثل - متى شاؤوا - سياسة القوة الغاشمة لابسةً ثوب الشرعية الدولية!!، خالية من الجشع الاستعماري الذي ينهب ثروات الأمم والشعوب والذي عانت منه الشعوب الويلات وقدمت الملايين من الضحايا للتخلص من ظلمه وإفساده في الأرض، وخالية من (عولمة) يراد بها (قولبة) العالم بالإكراه وفق ما يريده مركز العولمة وسلخ الأمة الإسلامية بشعوبها كافة من عقيدتها وهويتها وأصالتها وتأريخها وحضارتها عن طريق الغزو العسكري والغزو الثقافي .

وخالية - على الصعيد الاجتماعي - من الإباحية والاستسلام للشهوات في تصور للحياة على أنها (فرصة متاع ومائدة طعام) كما وصف الله تعالى حال أهل هذا التصور مقارنا إياه بحال أهل الإيمان والعمل الصالح بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد:١٢] وما نشأ عن ذلك من إباحة الزنى واللواط وحمايتهما تشريعيا بالقانون بصورة رسمية ، وخالية من وباء الأيدز الذي ينشأ من ذلك، خالية من انحطاط الأسرة وتشريعاتها البشرية المتخبطة ، وخالية من اتخاذ الجنس والمال إلهين من دون الله تكون لهما السيادة في المجتمع ويكون الناس – قادة وأمما – عبيدا لهما ، خالية .. وخالية .. وخالية ...إلخ

فماذا ينقمون من حضارة الإسلام إلا أنها خالية من هذا كله؟؟ ، قدمت النموذج للحياة السامية في صورتها المثلى ، فيها كل خير ، وليس فيها شيء من الشر، تلك الحضارة التي وضع لبناتها الأولى جهاد النبي ﷺ والمؤمنين معه من أجل سيادة الحق والعدل والإحسان والرحمة وحرية العقيدة للناس جميعا في كوكب الأرض كله .

فالإسلام قدم نفسه نموذجاً ساميا في العقيدة والشريعة

حسب وعده ووعد رسوله ﷺ إلا أن المطلوب الشرعي من المسلمين هو التعامل مع الأمر والنهي الإلهي لكل حالة بحسبها وعلى نحو ما أمر الشرع به من العمل بأقصى الطاقة علميا وماديا للوصول إلى النصر ولا يجوز شرعا لأحد القعود بانتظار النصر المأمول فإن منهج الإسلام المطبق من قبل الرسول ﷺ هو التعامل مع الأسباب ، فمع علمه ﷺ بالنصر المؤكد في النهاية رأيناه بذل كل جهده وجاهد في الله حق جهاده ومعه المؤمنون حتى أحرزوا نصر الله تعالى . وينبغي أن يكون هذا هو منهج أمة الإسلام بالسعي لامتلاك وسائل القوة العلمية والمادية والروحية للخروج مما نحن فيه ولإحراز نصر الله تعالى في المستقبل بذهاب الزبد جفاء وبقاء ما ينفع الناس في الأرض من سيادة الإسلام وإسعاد الناس بنوره .

٣١ـ تضحية المسلمين واستشهادهم من اجل سعادة الناس في الدارين :

ولقد استشهد مئات الآلاف من المؤمنين ، خير البرية، من أجل ذلك الهدف النبيل، إنقاذ شر البرية من ظلمات

والحضارة بحيث لو أزيل جدار التعتيم واطلعت الشعوب الغربية على الإسلام كما هو في حقيقته لاكتشفت أن بضاعتهم مزجاة وأن داءهم من بضاعتهم ودواءهم في الإسلام .. ومن هنا كان الإسلام عند أصحاب القرار الديني والسياسي فيهم أنموذجا بديلا متفوقا ، وخطرا عظيما يجب حجب نوره عن شعوبهم عن طريق الاستمرار في الكذب والافتراء عليه والاستهزاء به ، بل وإعلان الحرب عليه .. إنه نموذج خطر يجب القضاء عليه !! ، لكن العبيد يريدون شيئا والله تعالى يريد شيئا آخر قال تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] وقال : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣] ، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]. وإرادة الله القاهر فوق عباده أقوى من عبث المخلوقين !! .

ومع يقيننا بخذلان الله تعالى لعبث المخلوقين ووعده بإظهار دينه على الدين كله وأن ذلك كائن في قدر الله تعالى

كفرهم وظلمهم وشهواتهم إلى نور الإيمان بالله ورسوله ، ومن الجهل بالله إلى معرفة الله وطاعته ، وهي أعظم معرفة في الوجود ، فضحوا بأرواحهم طاعة لله لإنقاذ أولئك الناس من شقاوة الدنيا والآخرة إلى سعادة الدارين ، وزحزحتهم عن نيران الجحيم إلى الفوز العظيم في جنات النعيم . ضحوا بأرواحهم طاعة لله ومن أجل ذلك الهدف النبيل .

٣٢ـ لا إكراه في الدين ومعاملة غير المسلمين بالبر والقسط مع تبليغهم :

ومَنْ لم يُسْلم من تلك الأمم جعله الإسلام من أهل العهد (الذمة) وأصبحوا في حماية الإسلام، يحمي لهم عقيدتهم، وأماكن عبادتهم، وشعائرهم، وأنفسهم، وأموالهم، وجعلهم من رعايا الدولة الإسلامية تربطهم بالحاكم وبالمجتمع رابطة : (البر والقسط)، الواردة في قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة:٨]، والبر : هو الإحسان إليهم بكل ما يقتضيه الإحسان من معان، واجبا على المجتمع وعلى الدولة، بما في ذلك كفالة الدولة لهم عند الحاجة والعوز، وبما في ذلك تقديم الحماية والخدمات، والقسط : هو العدل معهم ، والمساواة بينهم وبين المسلمين في الحقوق والحريات الأساسية إلا ما يتعلق بالعقيدة فلهم خصوصيتهم وإلا ما يتعلق بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونحوها فيحتكمون فيها إلى شريعتهم .

وهذه الرابطة (البر والقسط) هي أعلى من رابطة (المواطن) ، في الدولة الحديثة ، ونتائجها الإيجابية أكثر منها. ولقد بلغت حماية حقوقهم في الشريعة الإسلامية درجة عالية ومستوى رفيعا في الواقع الإسلامي وفي الفقه، قال الفقيه القرافي : " فمن اعتدى عليهم - أهل الذمة أي أهل العهد – ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام ، وحكى ابن حزم : أن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب

علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع (الخيل) والسلاح ونموت دون ذلك صونا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة"[1] .

فأي مستوى رفيع هذا الذي بلغته الشريعة الإسلامية ورسولها المبعوث رحمة للعالمين في حماية الحقوق والحريات لغير المسلمين وهم يخالفونها في العقيدة ؟ هل ظفرت أقلية مسلمة في المجتمعات الغربية بمثل هذه الحقوق والحريات أو قريبا منها عبر الدهر كله[2]. ؟! ، إن على الفكر الغربي والنظم السياسية الغربية المعاصرة ، والصحف الغربية المستهزئة بالنبي الكريم ﷺ أن يتعلموا - إذا رغبوا في التعلم وترك الجهل والتعصب والتقليد - أن يتعلموا هذا الدرس من الشريعة الإسلامية .

إلا أن الممارسات الحالية لدول الغرب تدل على أنه عندما يتعلق الأمر بالإسلام والمسلمين ينسون الديمقراطية

---

(١) القرافي : الفروق ج٣ ص١٤ .

(٢) للتعرف على تفصيل ذلك راجع للمؤلف :" النظام السياسي الإسلامي مقارنا بالدولة القانونية " ص ١٢٦ وما بعدها .

ونظام الدولة القانونية ويتعلمون وسائل نظام الدولة البوليسية أو الاستبدادية فيمارسون التمييز ضد المسلمين بسبب الدين على الرغم من أنهم من مواطني تلك الدول ويحملون جنسيتها ، والأمثلة على ذلك كثيرة وخطيرة...

فالغرب قمع الديمقراطية وتبرأ منها عندما جاءت الديمقراطية بفوز جبهة الإنقاذ في الجزائر ، وتعاون مع تركيا للاعتداء على الحريات الشخصية عندما دخلت المسلمة (مروة) البرلمان التركي وهي عضوة فيه باللباس الشرعي الذي يغطي شعرها فقامت الدنيا ولم تقعد ، واضطهدت فرنسا تلميذات المدارس المسلمات اللائي يلبسن الحجاب الشرعي وطردتهن من مقاعد الدراسة وقَنَّنَتْ هذا الانتهاك للحريات الشخصية بقانون لكي تضفي عليه الشرعية!! ، والولايات المتحدة شرعت قانون الأدلة السرية الموجه ضد المسلمين بالدرجة الأساس الذي يُمكِّن السلطة من اعتقال من تشاء بدون توجيه تهمة وإبقائه في الحجز لمدة غير محدودة ، وكذلك التدخل في الخصوصية وانتهاك الحرية الشخصية بالتنصُّت على المكالمات الهاتفية ، وحذت بريطانيا حذوها في

اضطهاد المسلمين وشنت حملة عليهم انتهكت فيها حرمات المساجد، وجرى خلالها حتى نبش قبور المسلمين ، وهذا غيض من فيض. .

وما ذكرناه من المستوى الرفيع في تعامل الشريعة الإسلامية مع غير المسلمين من رعاياها هو من قبيل التعايش السلمي وتنظيم العلاقات في شؤون الحياة الدنيا ، أما في شأن الآخرة فيدعون بالحسنى إلى الإسلام قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] ، وقال : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦] ، وذلك ليختاروا بقناعة ومن غير إكراه ما يشاؤون من الإيمان برسالة محمد ﷺ المرسلة إلى الناس جميعا ليؤمنوا بها على أساس أن الإيمان بكل الأنبياء واجب وأن رد أي نبوة كفر - وبخاصة أن مع خاتم الأنبياء والمرسلين من المعجزات الدالة على صدق رسالته أضعاف ما مع الأنبياء السابقين والتي تضطر العقل إلى الإذعان والتسليم

المطلق بناء على الأدلة القاطعة - أو يختاروا لأنفسهم رد هذه النبوة وعدم الإيمان بها ويتحملوا المسؤولية عن هذا الاختيار في الآخرة فقد بين الله تعالى أن الإيمان بكل الأنبياء دون استثناء واجب وأن التولي عن الإيمان بمحمد ﷺ وما أنزل عليه شقاق : أي خلاف ومنازعة وعداوة[1] قال تعالى مخاطبا عباده المؤمنين ومبينا شقاق من لم يؤمن: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ

---

(١) تفسير البغوي : ١/ ١٢٠ .، وقال القرطبي :٢/ ١٤٣ : " وقيل: الشقاق : المجادلة والمخالفة والتعادي" وقال ابن كثير (تفسير ابن كثير ج: ١ ص: ١٨٨) : أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلا وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملا ونص على أعيان من الرسل وأجمل ذكر بقية الأنبياء وأن لا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم ولا يكونوا كمن قال الله فيهم : ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗا﴾ الآية [النساء:١٥١] "

ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٦-١٣٧].

قال ابن كثير في تفسيره: يقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟﴾ يعنى الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ يا أيها المؤمنون من الإيمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ﴾ أي فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي عن الحق إلى الباطل بعد قيام الحجة عليهم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ : أي فسينصرك عليهم ويظفرك بهم وهو السميع العليم "[1].

وهذا الاختيار الذي تترتب عليه المسؤولية قائم على قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ج: ١ ص: ١٨٨ .

[البقرة : ٢٥٦] .وقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[يونس: ٩٩] قال ابن كثير: (((أفأنت تكره الناس) أي تلزمهم وتلجئهم حتى يكونوا مؤمنين؟ أي ليس ذلك عليك ولا إليك)) [١].

٣٣ـ جهاد التبليغ مبني على أسس وحقائق ليس من حق أحد مصادرتها أو معارضتها:

أـ الحقيقة الأولى : من حق الله تعالى أن يُعرض دينه على الناس :

ذلك أنه من حق الله تعالى على بني آدم وهو خالقهم ومالكهم أن يُعرض دينه الذي ما عُرِض من قبل ، فقد أرسل الله تعالى قبل هذا الدين أنبياء ورسلا كراما وعُرض دينهم ورسالتهم على أقوامهم فآمن من آمن وكفر من كفر، فكل الرسالات نالت حظها من العرض على الأقوام الذين

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ٤٣٤ .

أُرسلت إليهم ، فلما أرسل الله تعالى محمدا ﷺ برسالة الإسلام ، وكانت للناس كافة ، كان من الحق البديهي لله تعالى على العباد أن يُعرض هذا الدين على الناس كافة بمقتضى حكم العقل - إذا احتكمنا لحكم العقل وحده -، ليختاروا من غير إكراه بين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى دينا للناس كافة وبين ردِّه بِردِّ رسالة محمد ﷺ وتحمل المسؤولية عن هذا الرد ، وهو موضوع الامتحان في الحياة الدنيا - بعد بعثة محمد عليه الصلاة والسلام - والذي يجازيهم عليه في الآخرة ، وليس لأحد أن يمنع حق الله عرض دينه على بني آدم من أجل طاعة الله وعبادته التي هي الغاية من خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان فيها للابتلاء والامتحان، فلا بد من التبليغ ثم المسؤولية عن الاختيار، ثم الجزاء . وما دام الأمر قائما على العرض مع الدليل، ثم الاختيار الحر، فليس لأحد أن يقول : لماذا ؟ .

ب- **الحقيقة الثانية** : من حق بني آدم كافة أن يعلموا دين الله تعالى ليختاروا بينه وبين ما هم عليه :

وهذا ما يمليه ويوجبه مبدأ حرية العقيدة ، وهي من أهم حقوق الإنسان ، لكي يختار الناس بإرادة حرة - بعيدا عن المؤثرات من إضلال المضلين وتخويف الطواغيت - يختاروا ما يقتنعون بأن سعادتهم في الدنيا والآخرة منوطة به، ثم يكونون مسؤولين عن هذا الاختيار ، وبخاصة وهو يتجاوز حدود مستقبل الإنسان في الدنيا إلى مستقبله في الآخرة المتمثل في ربح الأبد وسعادة الأبد في جنات النعيم أو خسارة الأبد وشقاوة الأبد في نيران الجحيم ، ومن يمنع الإنسان من هذا الحق (حرية العقيدة والاختيار) لا يمكنه أن يقدم له ضمانة بتحمل المسؤولية بدلا عنه في الآخرة .

ج- **الحقيقة الثالثة** : ليس من حق أحد من بني آدم أن يعطل الحقين المذكورين آنفا:

وهما: حق الله على العباد في عرض دينه الذي لم يعرض من قبل، وحق العباد في العلم والمعرفة لدين الله هذا ، ومن منع ذلك كان متعديا على حقين : حق الله في إرادته تبليغ دينه ، وحق الإنسان في العلم وحرية العقيدة. وهذا المنع

والحيلولة دون هذين الحقين هو ما فعلته الإمبراطوريتان الرومانية والفارسية إضافة إلى عدوانهما على الإسلام والمسلمين[1] فأطاح الإسلام بهما وعُرض دين الله على الشعوب بصورة جماعية فمن شاء أسلم ومن شاء لم يسلم وأصبح من أهل الذمة أي أهل العهد الذين شرع الإسلام حماية أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وعقائدهم وأماكن عبادتهم بشكل لم تظفر بمثله الأقليات في الدول الحديثة .

والحقائق الثلاث التي ذكرنا هي حقائق بسيطة وواضحة وحيادية لا ينبغي لعاقل يحترم عقله أن ينازع فيها لأنها من معطيات التَعقُّل السليم .

٣٤ـ حرية التعبير هل تحمي الاعتداء على عقيدة المسلمين في القانون الدولي العام ؟ :

ولئن كانت حرية التعبير وعدم التمييز بسبب الدين أو

---

(١) فكسرى الفرس مزق كتاب رسول الله ﷺ فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليه بأن يمزق الله ملكه فكان ذلك ، وقيصر الروم اعتدى على المسلمين في بعض بلاد الشام كما هو معروف تاريخيا .

العنصر أو الرأي أو الثقافة مكفولة اليوم بميثاق الأمم المتحدة والوثائق الدولية الأخرى المعنية بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية ، وكذلك في دساتير الدول المختلفة ، فليس مكفولا الاعتداء على الأديان والرسل والانتقاص من عقائد الغير ودينهم ورسلهم وأنبيائهم ، لأن هذا مما يؤجج روح البغضاء ويذكي حمى الصراع بين الأمم والشعوب ويهدد السلم والأمن الدوليين وهي أسس وجود الأمم المتحدة وأول مقاصدها ، فهل يعقل أن أدعياء حرية الرأي والتعبير يجهلون كل ذلك ؟؟ حتى غدت الصحف المعتدية على رسول الإسلام تستمر في الدفاع عن موقفها بحجة (حرية التعبير) وحتى صار بعض الساسة الغربيين يراوغون في الكلام ويرددون كلمات متهالكة لتكوِّن جملة مفيدة في دفاع فاشل لعلها تهدئ من انتفاضة الشعوب الإسلامية وغضبتها لانتهاك حرمة نبيها وحبيبها رسول الله عليه الصلاة والسلام ثم ينتهون إلى القول : أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً للصحف المذكورة بحجة (حرية الرأي والتعبير) ، هذا وهم شهود على الجريمة بأعينهم .. فما

تفسير ذلك غير أن الاعتداء على الإسلام وعلى نبي الإسلام ﷺ صادف هوى في قلوبهم بسبب الروح الحاقدة والعداء المكنون في الصدور للإسلام والمسلمين .. العداء الذي لم يعد النفاق الكاذب الذي يعلنه كبراؤهم بين الحين والآخر بأنهم ليسوا ضد الإسلام وليسوا ضد المسلمين .. لم يعد هذا النفاق كافيا لإخفاء حقيقة النفوس الخبيثة والقلوب الخربة والنوايا العدائية ضد الإسلام والمسلمين كما قال تعالى : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨] . وهذا لم يعد خافيا حتى على أطفال المسلمين .

ولو فرضنا جدلا أن جريمة الاستهزاء برسول الله محمد ﷺ قد ارتكبت من تلك الصحف نفسها تجاه نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام – برأه الله مما قالوا – فماذا سيكون موقفهم ؟ إذن لعادت عقولهم إلى رؤوسهم ولَسَلقوا (حرية التعبير) بألسنةٍ حِداد ونادوا على أصحاب الصحف المحتجة بحرية التعبير بالويل والثبور وعظائم الأمور ولتسابقوا إلى نشر المواثيق الدولية التي تمنع الاعتداء

على الأديان وكَيَّفوا الأمر جريمة – وهو جريمة حقا عندنا – ولطالبوا بمحاكمة أصحابها .

٣٥- حرية التعبير في الإسلام لا تحمي مسلما يتطاول على أي نبي :

فلو تصورنا الأمر معكوسا وصدر من مسلم من أبناء جلدتنا قد فقد رشده وانحط في الضلال أسفل سافلين فكتب في صحيفة أو قال علنا قولا فيه سخرية أو استهزاء أو أية رسوم كاركاتيرية كالتي فعلتها الصحف الغربية تسيء إلى أي نبي من الأنبياء مثل موسى أو عيسى عليهما الصلاة والسلام واحتج الفاعل بـ (حرية التعبير) فما هو حكم الإسلام في ذلك ؟؟.

والجواب : أن هذا الفعل يعد جريمة في الإسلام باتفاق المسلمين هي جريمة الردة – وعند بعض الفقهاء حتى لو كان الفاعل الذي فعل ذلك لم يكن جادا أو قاصدا بل فعله على سبيل الهزل – والهازل غير القاصد – فإنه يعد مرتدا ، وتجري عليه أحكام جريمة الردة أخذاً من قوله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة ٦٥-٦٦] . ومثل هذا المرتد بسبب الاستهزاء برسول من رسل الله لا يشفع له في الإسلام (حرية التعبير) التي أقرتها الشريعة الإسلامية قبل أن تعرفها القوانين الغربية ، لأن حرية التعبير في الإسلام مقيدة بالأخلاق الإسلامية وبالعقيدة الإسلامية ، ومن العقيدة الإسلامية الإيمان بالرسل، ولأن إنكار نبوة أي نبي هي كفر، حتى لو أنكر مسلم نبوة موسى أو عيسى عليهما الصلاة والسلام يكون كافرا مثلما يكون كافرا من أنكر نبوة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠ -١٥١] .

هذا مع ملاحظة أنه بعد بعثة محمد ﷺ أصبح واجبا

على الخلق جميعا الإيمان بنبوته واتباع شريعته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، وهؤلاء الخاسرون في الآخرة شرع لنا الإسلام التعايش السلمي معهم فشرع التعامل في الدنيا مع من لم يقاتلنا منهم ولم يخرجنا من ديارنا أن نبرهم ونقسط إليهم، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]. وهذا هو شأن رعايا الدولة الإسلامية من غير المسلمين.

وإذا كانت حرية التعبير في الشريعة الإسلامية على النحو الذي أسلفنا من احترام الأنبياء واعتبار من يسيء إلى موسى أو عيسى أو غيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعد مجرما يجب درء مفسدة إجرامه عن المجتمع بمعاقبته إعمالا للمثل والقيم والأخلاق والعقيدة والشريعة

ولا يشفع له غطاء زائف من (حرية التعبير) فإن على النظم الغربية أن تفقه ذلك وأن تتعلم هذا الدرس الشريف من الشريعة الإسلامية . وتلك أمنية بعيدة المنال لأن من كان مطية للهوى أورثه العمى وصده عن الرشاد والهدى!!.

وبهذا ننتهي من المبحث الأول بحثنا فيه حقائق أساسية لا غنى للمسلم وغيره عن معرفتها لنبدأ الكلام عن الحبيب المصطفى ﷺ مباشرة في المبحث الثاني وما بعده .

الرسول الأعظم
محمد صلى الله عليه وسلم:

منزلته عند الله واختياره قدوة ومثلاً أعلى[1]

٣٦ـ تمهيد :

اختار الله عز وجل نبينا محمدا ﷺ لأعظم رسالة أرسلها الله تعالى، ختم بها النبوات، وأيدها بالمعجزات الباهرات التي تجعل العقل يمتلىء قناعة و يذعن إذعانا كاملا لصدق النبوة ، وجعلها الرسالة السامية الكاملة الشاملة المهيمنة على الرسالات السماوية جميعا كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ

---

(١) انظر بشأن هذا الموضوع والموضوعات التالية كتابنا: (موسوعة المسلم في التوبة والترقي في مدارج الإيمان) ج٢ ص١١٠٠ وما بعدها، ط١ لسنة ٢٠٠٦، دار النفائس- الأردن.

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨] ولتكون واجبة الاتباع إلى يوم القيامة ، أرسلها رحمة للعالمين كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، وأوجب اتباعها على الخلق أجمعين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨] .

أرسله بالهدى ودين الحق وجعله السراج المنير الذي أنار الدنيا برسالته العظمى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦] .

جعله أشرف الأنبياء والمرسلين في الدنيا والآخرة ، وسيد الأولين والآخرين ، وحبيب رب العالمين ، واصطفاه لإنزال أشرف كتبه عليه، القرآن العظيم ، وجعله أهلا لفضل الله العظيم كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ

وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣].

وكتب اللعنة في الدنيا والآخرة مع العذاب المهين في الآخرة على من يؤذيه بأي نوع من الأذى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧].

ونظرا لما اختصه الله تعالى به من الكمالات والصفات الكريمة والشمائل العطرة جعله المثل الأعلى واصطفاه خير قدوة للبشر أجمعين.

٣٧ـ الرسول ﷺ خير قدوة على الإطلاق:

فخير قدوة على الإطلاق هو رسول الله ﷺ، الهادي البشير المبعوث رحمة للعالمين، صاحب الموقف المحمود، والحوض المورود، والشفاعة العظمى، سيد الأولين والآخرين الذي اختصَّهُ ربه جل جلاله من بين سائر خلقه بالخلق العظيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]. وقال مخاطباً المؤمنين: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٣٨ـ خلاصة ما جاء في منزلة الرسول ﷺ ونِعَم الله عليه:

قال ابن كثير في تفسير الآية الكريمة: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم: ٤]: «عن جبير بن نفير قال حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: (كان خلق رسول الله ﷺ القرآن)[١]... ومعنى هذا: أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سَجِيَّةً له وخُلُقا تطَبَّعه وترك طبعه الجِبْلي فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخُلُق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خُلُق جميل»[٢].

---

(١) مسلم (١٢٣٣)، والنسائي(١٥٨٣)، وأبو داود (١١٤٤)، وأحمد (٢٣٤٦٠) و(٢٤١٣٩) و(٢٤٦٢٩) والدارمي (١٤٣٩).

(٢) تفسير ابن كثير ج:٤ ص:٤٠٣.

قال جعفر بن محمد: من تمام نعمته عليه: أن جعله حبيبه، وأقسم بحياته، ونسخ به شرائع غيره، وعرج به إلى المحل الأعلى، وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى، وبعثه إلى الأسود والأحمر، وأحل له ولأمته الغنائم، وجعله شفيعا مُشفَّعا، وسيد وَلَد آدم، وقرن ذكره بذكره، ورضاه برضاه، وجعله أحد ركني التوحيد»[1].

وجاء في كتاب «الشفا»: «... فما ظنك بعظيم قَدْر من اجتمعت فيه كلُّ هذه الخصال [أي خصال حسن الخلق] إلى ما لا يأخذه عَدٌّ، ولا يُعبِّر عنه مقال، ولا يُنال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال: من فضيلة النبوة والرسالة، والخُلَّة والمحبة، والاصطفاء، والإسراء والرؤية، والقرب، والدنو، والوحي، والشفاعة، والوسيلة[2]،

---

(١) القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص٩٢.

(٢) الوسيلة: منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله. قال ﷺ: (وأرجو أن أكون أنا هو) رواه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله عمرو.

والفضيلة[1]، والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود[2]، والبُراق، والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد، والبشارة، والنذارة، والمكانة عند ذي العرش، والطاعة ثَمَّ[3]، والأمانة، والهداية، ورحمة للعالمين، وإعطاء الرضا والسؤل، والكوثر، وسماع القول، وإتمام النعمة، والعفو عما تقدم وتأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر[4]، ورفع الذكر، وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، وتزكية الأمة، والدعاء إلى الله، وصلاة الله تعالى والملائكة، والحكم بين الناس بما أراه الله، ووضْع الإصْر[5]

---

(١) الفضيلة: أي المرتبة الزائدة على سائر الأخلاق (فتح الباري ٢/ ٩٥).

(٢) قال ابن الجوزي: والأكثر على أن المراد بالمقام المحمود: الشفاعة، انظر: الفتح ٢/ ٩٥.

(٣) ثم - بالفتح -: هناك.

(٤) وضع الوزر: تخفيف وتسهيل حمل أعباء النبوة والرسالة. (انظر: «كلمات القرآن» لمخلوف).

(٥) الإصر: الثقل. وفي التنزيل﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾[البقرة: ٢٨٦].

والأغلال عنهم، والقسم باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات، والعُجْم[1]، ... وإسماع الصم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وانشقاق القمر، وردّ الشمس، وقلْب الأعيان، والنصر بالرعب، والإطْلاع على الغيب، وظل الغمام، وتسبيح الحصى، وإبراء الآلام، والعصمة من الناس، [وأنه نبي الحنيفية السمحة، ونبي التوبة] إلى ما لا يحويه محتفل[2]، ولا يحيط بعلمه إلا مانح ذلك ومفضله به، لا إله غيره، إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة، ودرجات القدس، ومراتب السعادة، والحسنى. والزيادة التي تقف دونها العقول، ويحار دون أدانيها الوهم»[3].

وكل ما تقدم ذكره من المزايا والصفات والعطايا الربانية مستقى من القرآن الكريم والسنة النبوية نذكر منها مثالين اثنين من السنة النبوية. ففي الصحيح عنه ﷺ قال: (فُضِّلتُ

---

(١) العجم – بضم العين –: جمع عجماء وهي البهيمة.
(٢) محتفل: احتفل بالأمر: عني به.
(٣) القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص ٩٩-١٠٠.

على الأنبياء بستٍّ: أُعطيت جوامع الكَلِم، ونُصرت بالرعب، وأُحلَّت لي الغنائم، وجُعلتْ لي الأرض طَهوراً ومسجداً، وأُرسلت إلى الناس كافة، وخُتم بي النبيون)[1].

وقال ﷺ: (أنا سيد وَلَد أدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما مِنْ نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي)[2].

وقد أرشدنا الله تعالى إلى اتخاذه قدوة بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١].

واتخاذ الرسول ﷺ قدوة حسنة يقتضي التأسي به في سائر أفعاله وأحواله وصفاته عدا خصوصياته وما كان مقتصرا عليه بصفة النبوة.

٣٩ـ المصاحبة للنبي ﷺ بالفكر والشعور:

وإذا فات المسلم اليوم صحبة رسول الله ﷺ فلا يفوته أن

---

(١) مسلم (٥٢٣).
(٢) مسلم (٤٢٢٣)، والترمذي (٣٠٧٣) واللفظ له، وأبو داود (٤٠٥٣)، وابن ماجه (٤٢٥٨) وأحمد (١٠٥٦٤).

يصاحبه مصاحبة شعور وتفكر، فيستشعر نفسه في مجلسه وبين يديه يتعلم منه كما تعلم منه أصحابه الأبرار، ويراه ويسمعه من خلال أفعاله وأقواله ﷺ، ومن خلال دراسة سيرته العطرة، وشمائله الكريمة، وأخلاقه العظيمة، فيقتدي به في كل ذلك، بعد أن تنشأ في نفسه المحبة الصادقة لشخصه الكريم والتعلق به تعلقا يملأ شغاف القلب، فيجد المؤمن نفسه منساقا إلى الاقتداء به ومحاكاته في أفعاله وصفاته بدافع المحبة والاشتياق.

ويدخل في باب الأسوة والقدوة أيضا الاقتداء بسيرة الصالحين صحابته الأبرار، وآل بيته الأطهار، كالخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرة بالجنة، وأصحاب بدر، وكل من مدحهم القرآن وأثنى عليهم كأصحاب بيعة الرضوان الذين قال فيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨]، والمهاجرين الذين قال فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[التوبة: ٢٠]، والأنصار الذين قال فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] »[1]. وأهل البيت الأطهار الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٣].

والآن وقد انتهينا من الكلام في بيان منزلة الرسول ﷺ عند رب السماوات والأرض رب العالمين واختياره قدورة ومثلاً أعلى وسيداً لولد آدم أجمعين يحسن بنا أن نتحدث عن مقتضى الإيمان بنبوة محمد ﷺ ولوازم هذا الإيمان ليكون إيماناً صادقاً وصحيحاً وهو موضوع المبحث الثالث القادم إن شاء الله.

---

(١) المؤلف: النظم الإسلامية ص١١٧-١١٨.

المبحث الثالث

مقتضى الإيمان بنبوة محمد ﷺ ولوازمه والعمل بها[1]:

٤٠ـ التصديق والطاعة والتسليم:

والإيمان بالنبي محمد ﷺ هو: تصديق نبوَّته، وأن الله تعالى أرسله حقاً ويقيناً وصدقاً للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به من ربه وما قاله، ومطابقة تصديق القلب شهادة اللسان بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة باللسان فالنتيجة اللازمة من ذلك أن يطبق ذلك عملياً بأن يتبعه ويعمل بما جاء به وهو ما يسمى العمل بالأركان.

واجتماع ذلك كله هو الإيمان بالرسول ﷺ، وهو مطلوب من الناس جميعاً في الأرض كلها قال عز وجل:

---

(١) أ.د. عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة ص:٣٣ وما بعدها. (بتصرف).

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨] وقال جل ثناؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

والقرآن الكريم صرح بأن من لم يؤمن برسول الله يكون كافراً مصيره النار، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣].

ومثل ذلك جاء في الحديث الشريف، قال ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من

أصحاب النار)[1].

وعلى ذلك فالإيمان بالنبي محمد ﷺ واتباعه هو أعظم شيء ظفرت به في حياتك على الإطلاق لأنه يوصلك إلى ربح الأبد وسعادة الأبد في جنات النعيم، وينجيك من خسارة الأبد وشقاوة الأبد في نيران الجحيم والعياذ بالله، لذلك استحق أن تفرح به الفرع العظيم كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

والإيمان بنبوة محمد ﷺ نبيا ورسولا يقتضي التسليم المطلق والتام لما جاء به أو أخبر عنه، وتصديقه وطاعته فيما أمر به أو نهى عنه دون حرج أو ضيق أو مناقشة أو جدال أو تعقيب أو أخذ البعض وترك البعض الآخر، فإن كل هذه الأشياء تناقض مقتضى الإيمان به ﷺ نبيا ورسولا، وتناقض اتخاذه أسوة وقدوة كما أرشد القرآن بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ

---

(١) رواه مسلم (١٥٤).

لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١]، ولهذا جاءت النصوص القرآنية كلها تؤكد وتبين هذه الأمور وغيرها التي هي مقتضيات الإيمان بنبوته ﷺ فمن هذه النصوص الواردة في القرآن العظيم قوله تعالى:

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران: ٣١].

﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران: ٣٢]

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء: ٨٠].

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الفتح: ١٧].

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[الأحزاب: ٣٦].

﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥].

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور: ٦٣].

فهذه النصوص، وأمثالها في القرآن كثير، تذكر المؤمنين بمقتضى إيمانهم بمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وبلوازم هذا الإيمان، فمرة تأمرهم بطاعته لأن طاعته هي طاعة الله وتبين

لهم أن جزاء المطيعين جنات النعيم وأن جزاء المخالفين عذاب النار، وطورا تبين لهم أن الإيمان بمحمد ﷺ يستلزم أخذ ما أمر به الرسول ﷺ والانتهاء عما نهى عنه وأن ما يقضي به ﷺ واجب الطاعة لا خيار فيه للمسلم، وأن الرجوع عند الاختلاف يجب أن يكون إلى الله والرسول، وإن الإيمان الحقيقي بمحمد ﷺ يستلزم الرضا بما يحكم ويقضي به ويخبر عنه، وتارة تبين نصوص القرآن أن المخالفة لأمر رسول الله وعصيانه سبب لعذاب الله ومقته وإن على المخالفين له أن يحذروا الفتنة والعذاب الأليم.

٤١ـ من التناقض الإيمان بالنبي ﷺ ثم منازعته في بعض ما جاء به:

والواقع أن ما تذكره هذه النصوص هو النتيجة المنطقية للإيمان بمحمد ﷺ والرضا به رسولا، لأن من التناقض ومن غير المقبول في العقل السليم أن يؤمن الإنسان بمحمد ﷺ ثم ينازعه في بعض ما جاء به، أو لا يرضى بما جاء به، أو ينصب نفسه معقبا لبعض ما جاء به، أو يتمرد على بعض ما

جاء به، إلى غير ذلك مما لا يتفق أبدا ومقتضى الإيمان بـه. إن الإنسان إذا آمن بأن فلانا بارع في الطب مبرز فيه فإنه يتقبـل منه ما يقوله في شؤون الطب وما يخبره به عن مرضه وسـبل علاجه ويتبع توجيهاته في الأكل والشرب وفيما يأخذ ويترك، ولا يُسوِّغ لنفسه معارضته أو مناقشته، فإذا كان هذا المسلك سليما ومعقولا بالنسبة للطبيب مع احتمال خطئـه فـيما يقـول ويوصي به فكيف يجوز لمن آمن بمحمد ﷺ نبيـا ورسـولا أن يعارضه أو يناقشه؟وهو المعصوم المسدد بالوحي الإلهي؟.

وبهذا ننتهي من الكلام في مقتضى الإيمان بنبوة محمـد ﷺ ولوازم هذا الإيمان ليكون إيماناً صادقاً وصحيحاً لكي نبدأ في المبحث الرابع بالكلام عن واجبات المسلم على وجه التحديد تجاه النبي ﷺ فلننتبه لها ولنعمل بجميعها بهمة ونشاط ابتغـاء رضوان الله تعالى.

المبحث الرابع

واجبات المسلم تجاه النبي ﷺ وماله من حقوق عليه والعمل بها[1]:

٤٢ ـ تمهيد:

إن واجب المسلم نحو الرسول ﷺ بعد أن أنعم الله عليه بالإيمان به تصديقه بكل ما يخبر عنه وطاعته في كل ما يأمر به، والانتهاء عن كل ما ينهى عنه، وقبول ذلك بتسليم تام ورضا تام كما بينا في الفقرة السابقة، وذكرنا النصوص القرآنية الدالة على ذلك، ومن واجباتنا الأخرى نحوه - بأبي هو وأمي - ﷺ ما يأتي:

٤٣ ـ أولا ـ محبته أكثر من الدنيا وما فيها من النفس والوالد والولد والأهل والمال والناس أجمعين:

فهذا هو الواجب الأول على المسلم تجاه النبي ﷺ من الواجبات التي سميناها (بالواجبات الأخرى) بعد واجب الإيمان والطاعة والتسليم.

---

(١) د. عبد الكريم زيدان أصول الدعوة ص:٣٥ وما بعدها (بتصرف).

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[١].

وفي صحيح مسلم والنسائي: (حتى أكونَ أحبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين)[٢].

وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال: (والله يا رسول الله لأنتَ أحبُّ إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: لا يا عمر حتى أكونَ أحبَّ إليك من نفسك، فقال: والله لأنت أحب إلي من نفسي)[٣].

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٤)، ومسلم (٦٣) واللفظ له.
(٢) مسلم (٦٢)، والنسائي (٤٩٢٨).
(٣) البخاري (٦١٤٢).

فدل ذلك على أن محبة الرسول ﷺ من لوازم الإيمان وأن هذه المحبة يجب أن تكون مُقدَّمة على محبة ما ذكرته الآية وذكره الحديث الشريف من النفس والوالد والولد والأخ والزوجة والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن، والمحبة الصادقة تدعو إلى الطاعة والمتابعة له، فهذا هو الذي يحبه ويرضاه، والمسارعة إلى ما يرضيه ﷺ مما أمرنا الله به وهو من لوازم المحبة الصادقة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[التوبة: ٦٢].

٤٤ـ المحبة الناقصة وكيفية معالجتها:

وقد يقول البعض إنني أحس بمحبة الرسول ﷺ في قلبي ولكن ليس بالقدر المذكور في الآية والحديث والذي هو من لوازم الإيمان، فما العمل؟ وكيف أُحصِّل ذلك في قلبي؟

والجواب: إن المحبة تأتي من معرفة المحبوب: معرفة فضله عليك بعد فضل الله تعالى، ومعرفة شخصه وما اتصف به من الكمالات، فإن النفس مجبولة على محبة من

أحسن إليها، ومجبولة على محبة من اتصف بالكمالات والنبي ﷺ جمعها معا.

٤٥ـ الأسباب الجالبة لمحبة المسلم للنبي ﷺ :

والأسباب الجالبة لمحبة المسلم للنبي ﷺ كثيرة ومتنوعة، ولكن مردها إلى سببين كبيرين:

الأول: معرفة فضل النبي ﷺ علينا وعلى عباد الله كافة في الدنيا والآخرة.

والثاني: اتصاف النبي ﷺ بالكمالات الجالبة للمحبة.

وفيما يلي بيان لهذين السببين الكبيرين وما يتفرع منهما:

٤٦ـ السبب الأول ـ معرفة فضل النبي ﷺ علينا في الدنيا والآخرة:

ويتجلَّى ذلك في جانبين عظيمين: **أحدهما**: الرحمة والمنفعة الحاصلة لنا في الدنيا بالاهتداء برسالته. **وثانيهما**: الرحمة والمنفعة الحاصلة للأمة في الآخرة بشفاعته ﷺ. وفيما يلي بيانهما:

٤٧ ـ أ ـ : الرحمة والمنفعة الحاصلة لنا في الدنيا بالاهتداء برسالته:

فأما فضل النبي ﷺ عليَّ وعليكَ وعلى سائر أهل الإسلام والإيمان فلأنه سبب لأعظم منفعة ظفرنا بها في الحياة على الإطلاق وهي الإيمان بالله ورسوله ودينه، الإيمان الموصل إلى جنات النعيم والمنجي من نيران الجحيم، وهو أعظم ما يجب أن يفرح به الإنسان على الإطلاق، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

قال القرطبي في تفسير الآية: «قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ قال أبو سعيد الخدري وابن عباس رضي الله عنهما: فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام. وعنهما أيضا: فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلكم من أهله. وعن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة: فضل الله: الإيمان، ورحمته: القرآن على العكس من القول الأول. وقيل غير

هذا، ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ إشارة إلى الفضل والرحمة»[1].

وقال ابن كثير في تفسيرها: «وقوله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ أي: بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق فليفرحوا فإنه أولى ما يفرحون به، ﴿هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ أي: من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة»[2].

قال صاحب فتح الباري: فإذا تأمَّل النفع الحاصل له [أي للمسلم] من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان إما بالمباشرة وإما بالسبب علِم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلِم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره، ولكن الناس يتفاوتون

---

(١) تفسير القرطبي ج: ٨ ص: ٣٥٣.
(٢) تفسير ابن كثير ج: ٢ ص: ٤٢٢.

في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه، ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتم لأن هذا ثمرة المعرفة وهم بها أعلم»[1].

فكتاب الله العزيز الذي تفتديه بروحك وقلبك وتتنعم بالتنقُّل بين رياض سوره وآياته إنما وصلك عن طريق رسول الله ﷺ. ولقد كان من حرص النبي ﷺ على كمال حفظه وتبليغه أنه كان يقرأ الآيات النازلة عليه فيحرِّك لسانه بها ليحفظها، يفعل ذلك خشية أن تضيع منه كلمة أو يُفلت منه حرف، وجبريل عليه السلام ما يزال متصلا به لم يَنْته بعدُ من الوحي إليه، وفي هذا من المشقة والشدة ما فيه، فنهاه الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]، وطمأنه أن الله جامعه له في صدره، من غير أن يحرك لسانه به، ومقرئه إياه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[القيامة: ١٧-١٨]: فانتظر حتى ينتهي الوحي ثم اقرأ ما نزل عليك تجده منقوشا في

---

(١) فتح الباري ج: ١ ص:٥٩- ٦٠.

صدرك، وزيادة على ذلك سنُلهمك فهمَ معناه ونبِّينه لك: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[القيامة: ١٩] (١).

وكل سنَّة نبوية تعلَّمتها من كلامه وأفعاله وأحواله بلَّغها وحيا من ربه تعالى واهتديت بها، إنما جاءتك منه ﷺ.

فكل توحيد خالص حصل لك، وتوبة تبتها، وصلاة صليتها، وزكاة فعلتها، وصوم صمته، وحج أديته، وجهاد

---

(١) قال ابن كثير في تفسيرها: هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولى: جمعه في صدره، والثانية: تلاوته، والثالثة: تفسيره وإيضاح معناه. ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ أي بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ أي في صدرك ﴿وقرآنه﴾ أي أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا. (تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٤٥٠).

جاهدته أو نويته أو حدثت نفسك به، إنما تعلمته بواسطته ﷺ، ومثل ذلك شعب الإيمان كلها.

وكل تسبيحة سبَّحتها وتحميدة وتهليلة وتكبيرة تحرَّكت بها شفتاك فحصلت بها على الحسنات والثواب العظيم وصارت غراسا لك في رياض الجنة إن شاء الله، إنما تعلمتها منه ﷺ، ومثل ذلك كل دعاء مأثور.

وبالجملة فكل هدى اهتديت به فكان سببا في الثواب العظيم، وأوجد في قلبك الرجاء برحمة الله والفوز العظيم بجنات النعيم والنجاة من نيران الجحيم فصرت تدعو الله خوفاً وطمعاً، رغباً ورهباً، إنما تعلمته بواسطة رسول الله ﷺ.

فمن أولى من النبي ﷺ بالحب؟.

٤٨ـ عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم حريصٌ عليكم:

وقد كان ذلك على يدي رسول من أنفسنا، يعزُّ عليه هلاكنا، حريص على هداية الناس وهدايتنا، بنا رؤوف رحيم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨].

قال القرطبي في تفسير الآية: «... قال أبو جعفر النحاس: وأحسن ما قيل في معناه مما يوافق كلام العرب ما حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال حدثنا عبد الله بن محمد الخزاعي قال سمعت عمرو بن علي يقول سمعت عبد الله بن داود الخريبي يقول في قوله عز وجل: لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴿عَزِيز عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ قال: أن تدخلوا النار ﴿حَرِيص عَلَيْكُم﴾ قال: أن تدخلوا الجنة. وقيل: ﴿حَرِيص عَلَيْكُم﴾: أن تؤمنوا. وقال الفراء: شحيح بأن تدخلوا النار، والحرص على الشيء الشح عليه أن يضيع ويتلف. ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الرؤوف: المبالغ في الرأفة والشفقة... وقال الحسين بن الفضل لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ فإنه قال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ١٤٣]. وقال عبد العزيز بن يحيى:

نظم الآية: لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز حريص بالمؤمنين رءوف رحيم، عزيز عليه ما عنتم، لا يهمه إلا شأنكم، وهو القائم بالشفاعة لكم، فلا تهتموا بما عَنِتُّم ما أقمتم على سنته فإنه لا يرضيه إلا دخولكم الجنة»[1].

٤٩ـ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل:

فمن أجل إيصال هذه النعمة العظمى والرحمة الكبرى إلينا، لننعم بها، وإلى الناس، تحمَّل الرسول ﷺ من المشقة والمعاناة ما يكاد يعجز عنه الوصف وصبر على ذلك حتى وصل إلينا الدين كاملا ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

كان ذلك على يدي رسول الله ﷺ الذي حقَّ للسماوات والأرض أن تبكي لبكائه، وحقَّ للملائكة أن تبكي لبكائه لما جرى له في مكة ثم في الطائف حتى خَوَّله جبريل عليه السلام - بأمر من ربه - أن يدعو الله عليهم إن شاء فلم يفعل، بل دعا

---

(١) تفسير القرطبي ج: ٨ ص: ٣٠٢.

بدعاء آخر، وادَّخرَ دعوته المستجابة إلى يوم القيامة من أجل أمته، قال ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجَّلَ كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)[1]، خبأها مع أشد الحاجة إليها، وادَّخرَها إلى يوم القيامة ليشفع لي ولك ولأمته كافة.

جاء في «الرحيق المختوم»: «خرج النبي ﷺ إلى الطائف وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلا سارها ماشيا على قدميه جيئة وذهوبا ومعه مولاه زيد بن حارثة... وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدا من أشرافها إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس فوقفوا له صماطين - أي صفين - وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضبت نعلاه بالدماء،

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥٨٣٠)، مسلم ج: ١ ص:١٨٩ واللفظ له، وانظر أيضا: ص ١٩٨ و ٢٠٠و٢٠١.

وكان زيد بن حارثه يقيه بنفسه، حتى أصابه شجاج في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، على ثلاثة أميال من الطائف، ولما التجأ إليه رجعوا عنه.

وأتى رسول الله ﷺ إلى حَبَلَةٍ[1] من عنب فجلس تحت ظلها إلى جدار، فلما جلس إليه واطمأن دعا بالدعاء المشهور الذي يدل على امتلاء قلبه كآبة[2] وحزنا مما لقي من الشدة

---

(١) جاء في لسان العرب: ١١/١٣٨): الحَبَلَة والحُبُلَةَ: الكرْم، وقيل: الأصل من أصول الكرْم، و الحبَلَةَ: طاق من قُضْبان الكرم، والحَبَلُ: شجر العنب واحدته حَبَلة.

(٢) نفضل عبارة (ألما وحسرة وحزنا) بدلا من عبارة (كآبة وحزنا) التي استعلمها صاحب الكتاب القيم (الرحيق المختوم) لأن الله تعالى ما وصف نبيه ﷺ بحصول الكآبة له قط في كل أحواله بسبب الصلة الدائمة مع الله تعالى والمعية منه له ، ولا هو وصف نفسه بذلك في السنة النبوية - حسب اطلاعي - وإنما وصفه الله تعالى بالحسرة عليهم ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾[فاطر: ٨]، وبالألم ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤]، وبالحزن ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧]. ولأن الكآبة بوصفها مصطلحا لا تجتمع مع الصلة

وأسفا على أنه لم يؤمن به أحد، قال: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)...

فرجع رسول الله ﷺ في طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيبا محزونا كسير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال، يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة.

وقد روى البخاري تفصيل القصة - بسنده - عن عروة

الدائمة بالله تعالى. والمعية منه لعبده توجب نقيض الكآبة من اطمئنان العبد إلى ربه وإن كان في حالة حزن وحسرة وألم، والله أعلم.

بن الزبير: (أن عائشة رضي الله عنها حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ قال: لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال[1]، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت - وأنا مهموم - على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب - وهو المسمى بقرن المنازل - فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك. وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - أي لفعلت -، والأخشبان: هما جبلا مكة، أبو قبيس والذي يقابله وهو قعيقعان -، قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك

---

(١) وهو من عظماء الطائف (تفسير الطبري: ٢٥/ ٦٥).

به شيئا)[1].

وفي هذا الجواب الذي أدلى به الرسول ﷺ تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من الخلق العظيم الذي لا يُدْرك غوره»[2].

فهذا بعض فضله عليَّ وعليكَ وعلى عباد الله في الدنيا.. فمن أولى من النبي ﷺ بالحب؟.

٥٠ ـ ب ـ : الرحمة والمنفعة الحاصلة للأمة في الآخرة بشفاعته ﷺ :

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا)[3].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري (٢٩٩٢) كتاب بدء الخلق ١/ ٤٥٨ واللفظ له، مسلم (٣٣٥٢) باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٢/ ١٠٩

(٢) المباركفوري: الرحيق المختوم ص ١١٣ – ١١٥.

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٨٣٠)، ومسلم ج: ١ ص:١٨٩ واللفظ له،

«وقد وردت أحاديث الشفاعة عن النبي ﷺ من حديث أنس وأبي سعيد وجابر وأبي هريرة وعوف بن مالك الأشجعي وأبي ذر وابن الجدعاء ويقال ابن أبي الجدعاء وعتبة بن عبد السلمي وعمران بن حصين وحذيفة وكلها في الصحيح»[1].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لكل نبي دعوة دعاها لأمته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)[2].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قلت : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أوَّلُ منك لما رأيت من حِرصكَ على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إلهِ إلا الله خالصا من قلبه أو

وانظر أيضا: ص ١٩٨ و٢٠٠و٢٠١.

(١) حاشية ابن القيم ج: ١٣ ص: ٥١ -٥٢.

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٨٣٠)، ومسلم (٢٩٩) واللفظ له. .

نفسه)[1].

فهذا بعض فضله المرجو علي وعليك في الآخرة.. فمن أولى من النبي ﷺ بالحب؟؟.

٥١ ـ السبب الثاني ـ اتصاف النبي ﷺ بالكمالات الجالبة للمحبة:

وأما الكمالات الجالبة لمحبة الرسول ﷺ فيكفي فيها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «عن جبير بن نفير قال حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: (كان خلُق رسول الله ﷺ القرآن)[2]... ومعنى هذا: أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سَجِيَّة له وخُلقا تَطَبَّعه، وترك طبعه الجِبْلي[3]، فمهما

---

(١) البخاري (٩٧)، وأيضا بلفظ: (من قال لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه)(٦٠٨٥).

(٢) مسلم (١٢٣٣)، والنسائي(١٥٨٣)، وأبو داود (١١٤٤)، وأحمد (٢٣٤٦٠) و(٢٤١٣٩) و(٢٤٦٢٩) والدارمي (١٤٣٩).

(٣) أي طبعه الذي خلق عليه، جاء في (لسان العرب: ١١/ ٩٨): ((جَبَل الله الخلْق يجبِلُهم ويجبُلُهم: خَلَقهم. وجَبَلهُ على الشيء: طبَعَه)).

أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخُلُق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلُق جميل»[1].

وقال صاحب الظلال في تفسير الآية: «... وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم؛ ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم الوجود! ويعجز كل قلم، ويعجز كل تصور، عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله، في ميزان الله، لعبد الله، يقول له فيها: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]. ومدلول الخلق العظيم هو ما هو عند الله مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين!...

ولقد رويت عن عظمة خُلُقِه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة. وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه. ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر. أعظم بصدورها عن العلي

---

(١) تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٤٠٣.

الكبير. وأعظم بتلقِّي محمد لها وهو يعلم مَنْ هو العلي الكبير، وبقائه بعدها ثابتا راسخا مطمئنا. لا يتكبر على العباد، ولا ينتفخ، ولا يتعاظم، وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير! .

والله أعلم حيث يجعل رسالته. وما كان إلا محمد ﷺ بعظمة نفسه هذه - من يحمل هذه الرسالة الأخيرة بكل عظمتها الكونية الكبرى. فيكون كفئا لها، كما يكون صورة حية منها...

ومرة أخرى أجد نفسي مشدودا للوقوف إلى جوار الدلالة الضخمة لتلقي رسول الله ﷺ لهذه الكلمة من ربه، وهو ثابت راسخ متوازن مطمئن الكيان.. لقد كان - وهو بشر - يُثني على أحد أصحابه، فيهتز كيان صاحبه هذا وأصحابه مِنْ وقْع هذا الثناء العظيم.. وهو بشر وصاحبه يعلم أنه بشر. وأصحابه يدركون أنه بشر. إنه نبي نعم. ولكن في الدائرة المعلومة الحدود. دائرة البشرية ذات الحدود.. فأما هو فيتلقى هذه الكلمة من الله. وهو يعلم من هو الله. هو بخاصة يعلم من هو الله! هو يعلم منه ما لا يعلمه سواه. ثم يصطبر ويتماسك ويتلقى ويسير... إنه أمر

فوق كل تصور وفوق كل تقدير!!.

إنه محمد - وحده - هو الذي يرقى إلى هذا الأفق من العظمة.. إنه محمد - وحده - هو الذي يبلغ قمة الكمال الإنساني المجانس لنفخة الله في الكيان الإنساني. إنه محمد - وحده - هو الذي يكافئ هذه الرسالة الكونية العالمية الإنسانية؛ حتى لتتمثل في شخصه حية، تمشي على الأرض في إهاب إنسان.. إنه محمد - وحده الذي علم الله منه أنه أهل لهذا المقام. والله أعلم حيث يجعل رسالته - وأعلن في هذه أنه على خلق عظيم. وأعلن في الأخرى أنه - جل شأنه وتقدست ذاته وصفاته، يصلي عليه هو وملائكته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[الأحزاب: ٥٦]. وهو - جل شأنه - وحده القادر على أن يهب عبدا من عباده ذلك الفضل العظيم...»[1].

وبعد معرفة هذين السببين الجالبين لمحبة الرسول ﷺ: الرحمة والمنفعة العظمى الحاصلة لنا بسببه في الدنيا وفي الآخرة، ثم الكمالات التي اتصف بها وكلها جالبة للمحبة،

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن: ص٣٦٥٧ وما بعدها.

ستجد قلبك منجذبا ومنساقا إلى محبة الرسول ﷺ. وستجد عينيك تذرفان دمعا أنك لم تر رسول الله ﷺ، وتوَدُّ لو تشتري رؤيته بأهلك ومالك. وربما كان بعض عزائك في عدم رؤيته أن تصاحبه مصاحبة في القلب والشعور، وتُسلِّي نفسك بأنك من أتباعه ومحبيه ﷺ.

ولله دَرُّ إخوة الإيمان من الشعراء الذين عبَّروا بشعرهم عن مشاعرهم ومشاعر المسلمين والمسلمات في العالم كله بشعر يفيض تفانياً في محبة المصطفى ﷺ والغيرة عليه والذود عن عِرضه وحُرمته أمام هجمة أعداء الإسلام الذين اصطفوا للنيل من محمد ﷺ حبيب الرحمن وحبيب كل مسلم ومسلمة وفوجئوا بمحبة المسلمين والمسلمات لنبيهم ﷺ بدرجة تفوق كل تصور وتعلو على كل خيال.

ونقدم فيما يلي بعضاً من قصائدهم يفوح منها عطر الحب الكبير والغيرة على الحبيب المصطفى -بأبي هو وأمي- والذود عن حُرمته: قال أخو الإسلام[1].

---

(١) الشاعر: ماجد بن محمد الجهني/ الظهران، وقد اخترنا من قصيدته الأبيات المذكورة في المتن ومن شاء أن يطلع عليها كاملة ومعها بقية

عِرضي فِدا عرض الحبيب محمدٍ وفداه مهجةُ خافقي وجَناني
وفِداه كلُّ صغيرنا وكبيرنا وفداه ما نظرت له العينانِ
وفداه ملك السابقين ومن مضوا وفداه ما سمعت به الأذنانِ
وفداه كلّ الحاضرين وملكهم وفداه روحُ المُغْرم الولهانِ
وفداه ملكُ القادمين ومن أتوا أرواحنا تفديه كُلَّ أوانِ
خيرُالبرية والتُّقى محرابه تسمو محبَّتُهُ على الألحانِ
أزكى رسول بالهدى قد جاءَنا وخليلُ ربي الواحدِ الرحمنِ
صلى عليهِ الربّ في عليائه إذ زانه بالصدقِ والإيمانِ
والله أعلا شانَهُ في آيِهِ وَلَدِينُهُ يعلو على الأديان
أعداؤه في نكسةٍ وبغلِّهم يصلونَ قَسْراً ضحضحَ النيرانِ
أعداؤه بُكْمٌ وصُمٌّ مارأوا أعداؤه هم أخبثُ العُميانِ
أهداهمُ إبليسُ من نزواتِه فتقَحَّموا في النار كالقُطْعانِ
تبتْ يدٌ لما أساءَت رسمها شُلَّت يمينُ المُجرمِ الفتَّانِ
اللهُ مُخزيهم ومُوبقُ سعيهم والله ذو بطشٍ وذو سلطانِ
يكفي الإلهُ نبيَنا من جُرمهم واللهُ منتقمٌ عظيمُ الشان
حُبُّ الحبيبِ محمدٍ أُهزوجة يشدو بها قلبي مع الخفقان

القصائد التالية التي اخترنا منها أبياتاً أيضاً فليرجع إلى موقعها على الإنترنت وهو: WWW.ALNABY.COM

ولله در الشاعر المشتاق للحبيب المصطفى إذ يقول في قصيدة عنوانها: من أخبر الروح أن المصطفى فيه؟![1].

أُهدي إليكَ نشيداً رحتُ أخفيه ... بين الدموع ، حلاواتُ الهوى فيهِ
أهدي إليك فؤاداً راح يسكنهُ ... عطرُ الحبيب، فما أزكى مغانيهِ!
بين الصِّحاح تجوبُ الروحُ سائلةً ... عنه الحروفَ، وكم جلّتْ معانيهِ!
لو كنتُ أدري حديثَ الركب إذ رحلوا ... نحو الحجاز هوىً.. لو كنتُ أدريه
شدوا الرحالَ وفي أرواحهم طربٌ ... يحدو الجمال، فيطوي الدربَ حاديه
ساروا إليكَ وكان الشوقُ يحملهمْ ... لكنّ شوقي أنا حارتْ أمانيه
ساروا إليكَ وراح القلبُ يسألهمْ ... لو يعلمُ القلبُ أن الدربَ يبغيهِ !
أوْ يعلمُ الركبُ أن الروحَ تَسبقهمْ ... نحو الحبيبِ ، فهل حقاً تلاقيهِ !
روحي تطير وتهوي عند مسجدهِ ... من أخبرَ الروحَ أن المصطفى فيهِ؟

وفي قصيدة له أيضاً[2] تفيض حباً وشوقاً وحنيناً للمصطفى ﷺ بعنوان: نجوى إلى ضيف حِراء يقول فيها:

أيُّ شوقٍ للسماءِ ... في ابتهالات حِراءِ
أي شكوى أي نجوى ... أي خوفٍ ورجاءِ

---

(١) الشاعر الدكتور عبدالمعطي الدالاني، المرجع السباق وفي الموضع نفسه.
(٢) المرجع السابق وفي الموضع نفسه.

أي عطـــرٍ نبـــوي عـمَّ أرجـاءَ الفـضاءِ
أي دمـــعٍ راح يرنـــو نحـو أبـواب السماءِ
أي نـــورٍ لاح يمحـو كـلَّ جهـل الجُـهلاءِ
أي حـــبٍ أحمـــديّ مَـجَّ عطـراً في دمـائي
أنـت أنـسامُ صـباحي أنـت أحـلامُ مسائي
أنت عطري أنت عمري يـا خـتامَ الأنبـياء

وما أجمل قصيدة شاعر آخر[1] من إخوة الإيمان وهو يُذكِّر بصفات الحبيب المصطفى وما جمع الله له من الكمالات التي جعلت قلوب المؤمنين والمؤمنات مبهورة بصفاته مشتاقة إلى رؤيته قد غلبت عليها محبته حتى صارت طبعاً وسَجِيَّة حسنه فيهم، وقد اختار الشاعر لقصيدته عنوان: "إمام المرسلين فداك روحي" وقال فيها :

إمـامَ المُرسـلينَ فـداكَ رُوحـي وأرواحُ الأئمـــةِ والـــدُّعاةِ
رسولَ العالمينَ فداكَ عـرضي وأعـــراضُ الأحبّـةِ والتُّقـــاةِ
ويا عَلَم الهدى يفديك عمـري ومـالي..يـا نبـي المكرمـاتِ!!
ويا تاج التُّقى تفـديك نفـسي ونفـسُ أولي الرئاسـةِ والـولاةِ

---

(١) الشاعر صالح بن علي العمري، قصيدته المنشورة على موقع الانترنت www.alnaby.com وقد اقتصرنا على أبيات منها.

فداكَ الكون يا عَطِرَ السجايا ... فما للناس دونك من زكاةِ..
فأنتَ قداسة إمَّا استُحلّتْ ... فذاكَ الموتُ من قبل المماتِ!!
ولو جحد البريّةُ منك قولاً ... لكُبّوا في الجحيم مع العُصاةِ
وعرضُك عرضُنا ورؤاكَ فينا ... بمنزلة الشهادةِ والصلاةِ
رُفِعْتَ منازلاً وشُرحت صدرا ... ودينُكَ ظاهرٌ رغمَ العُداةِ
وذكرُكَ يا رسولَ الله زادٌ ... تُضاءُ بهِ أَسَاريرُ الحَيَاةِ
وغرسُك مُثمرٌ في كلِّ صِقعٍ ... وهديُكَ مُشرقٌ في كلِّ ذاتِ
ومَا لجنان عَدنٍ من طريقٍ ... بغيرِ هُداكَ يا علمَ الهُداةِ
وأعلى اللهُ شأنكَ في البَرَايا ... وتلكَ اليومَ أجلى المُعجزاتِ
وفي الإسراءِ والمعراج معنى ... لقدْركَ في عِناقِ المكرماتِ
ولمْ تنطقْ عنْ الأهواءِ يوما ... وروحُ القدسِ مِنكَ على صِلاتِ
بُعثتَ إلى المَلا بِرّاً ونُعمى ... ورُحمى.. يا نبيَ المَرْحَمَاتِ
رَفَعْتَ عن البريّةِ كلَّ إصرٍ ... وأنتَ لدائها آسي الأُساةِ
تمنّى الدهرُ قبلك طيفَ نورٍ ... فكان ضياكَ أغلى الأمنياتِ
يتيمٌ أنقذ الدّنيا.. فقيرٌ ... أفاضَ على البريّة بالهِبَاتِ
طريدٌ أمّنَ الدنيا..فشادت ... على بُنيانِهِ أيدي البُنَاةِ..
رحيمٌ باليتيمة والأُسارى ... رفيقٌ بالجهولِ وبالجُنَاة
كريمٌ كالسحابِ إذا أهلّت ... شجاعٌ هدَّ أركانَ البُغَاة
بليغٌ علّم الدنيا بوحي ... ولم يقرأ بلوح أو دواةِ
حكيمٌ جاءَ باليُسْرى شَفيقٌ ... فلانتْ منهُ أفئدة القُساةِ
فمنكَ شريعتي وسكونُ نفسي ... ومنكَ هويتي.. وسمو ذاتي
ولي فيكَ اهتداءٌ واقتفاءٌ ... لأخلاقِ العُلا والمَكْرماتِ

وفيك هدايتي وشفاءُ صدري ... بعلمكَ أو بحلمكَ والأناةِ
ومنك شفاعتي في يومِ عَرْض ... ومن كفيّكَ إرواءُ الظُّماةِ
ومنك دعاءُ إمسائي وصحوي ... وإقبالي وغمضي والتفاتي
رسولَ الله قد أسبلتُ دَمْعي ... ونزَّ القلبُ من لَجَجِ البُغَاةِ
فهذي أمّةُ الإسلام ضجّتْ ... وقد تُجبى المُنى بالنائباتِ!!
هوانُ السيفِ من هُونِ المُباري ... ولِينُ الرمحِ من لِينِ القناةِ
وقد تَشفى الجسومُ على الرزايا ... ويعلو الدينُ من كيدِ الوشاةِ!!
وفي هزِّ اللواء رؤى اتحادٍ ... ولمُّ الشمل من بعد الشتاتِ!!
وقد تصحو القلوبُ إذا اسْتُفزّتْ ... ولَفحُ النَّارِ يوقظ من سُبَاتِ!!
ألا بُترتْ روافدُ كلّ فضٍّ ... تمرّغَ في وحول السيئات
رسولَ الحُبِّ في ذكراك قُربى ... وتحتَ لواكَ أطواقُ النجاةِ
عليك صلاةُ ربِّكَ ما تجلى ... ضياءٌ .. واعتلى صوتُ الهُداةِ
يحارُ اللفظُ في نجواكَ عجزا ... وفي القلب اتقادُ المورياتِ
ولو سُفكتْ دمانا ما قضينا ... وفاءك والحقوقَ الواجباتِ

ونختم هذا الاستطراد الشعري الذي رأيناه ضرورياً ومعبراً عن مشاعر المسلمين والمسلمات وحبهم العظيم لرسول الله ﷺ ومعبراً عن غيرتهم على عِرضه وحُرمته أن يَمسَّها أهل البغي والعدوان والضلال وثورتهم للدفاع عن حبيبهم رسول

الله ﷺ... نختم بهذه القصيدة المعبرة التي اختار لها الشاعر[1] عنوان : "جلَّ مَنْ ربَّاك":

ربَّاكَ ربُّـــكَ..جلَّ من ربَّاكـــا
ورعـــاكَ في كنـــفِ الهـــدى وحماكـــا
سبحانه أعطاك فيـــضَ فضائـــلٍ
لم يُعْطهـــــا في العـــــالمين ســـــواكا
سوّاك في خُلقٍ عظيمٍ وارتـــقى
فيـــك الجـــمالُ.. فجـــلّ مـــن ســـوَّاكا
سبحانه أعطـــاك خـــيرَ رسالـــة
للعـــالمين بهـــا نـــشرْتَ هُـــداكا
وحبـــاكَ في يوم الحساب شفاعةً
محـــــمودةً .. مـــا نالهـــا إلاّكـــــا
اللهُ أرســـــلكم إلـــينا رحـــمةً
مـــا ضـــلَّ مـــن تَبِعـــتْ خطـــاه خُطاكـــا
كنّا حيارى في الظـلامِ فـأشْرقتْ

---

(١) للشاعر محمد بن عبد الرحمن المقرن ، والقصيدة منـــشورة علـــى الإنترنيت في الموقع المذكور آنفا .

شمسُ الهدايةِ يومَ لاحَ سناكا
كنّا وربي غارقين بغيّنا
حتى ربطنا حَبْلَنا بعُراكا
لولاك كنا ساجدين لصخرةٍ
أو كوكبٍ.. لا نعرفُ الإشراكا
لولاك لم نعبدْ إلهًا واحدًا
حتى هدانا اللهُ يومَ هداكا
أنتَ الذي حنَّ الجمادُ لعطفهِ
وشكا لك الحيوانُ يومَ رآكا[1]

---

(١) الشاعر يشير إلى ما ورد في كتب السيرة والحديث ومنها: عن يعلى بن مرة قال: (بينما نحن نسير معه – أي النبي ﷺ – إذ مررنا ببعير يُسنى عليه فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه فوقف عليه النبي ﷺ فقال: أين صاحب هذا البعير؟ فجاء فقال: بِعْينه، فقال: لا بل أهبه لك، فقال: لا بعينه، قال لا بل أهبه لك وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره، قال أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلَف فأحسنوا إليه، قال ثم سرنا فنزلنا منزلاً فنام النبي ﷺ فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ ذكرت له ذلك فقال: هي شجرة استأذنت ربها عز وجل أن تسلم على رسول الله ﷺ فأذن لها ... (رواه أحمد برقم: ١٦٩٠٧) وقوله: يُسنى عليه: أي يُستقى عليه، وجرجر البعير: أي أظهر صوت ضجر، والجران، باطن العنق، وغشيته الشجرة أي أظلته.

والجِذعُ يُسمعُ بالحنينِ أنينهُ
وبكاؤُه شوقًا إلى لُقياكا[1]
ماذا يزيدُك مدحُنا وثناؤُنا
واللهُ في القرآنِ قد زكّاكا؟!
ماذا يفيدُ الذّبُّ عنك وربُّنا
سبحانه بعيونه يرعاكا؟!
"بدرٌ" تحدثنا عن الكفِّ التي
رمَتِ الطغاة فبوركت كفّاكا؟!
و"الغارُ" يخبرُنا عن العين التي
حفظتك يوم غفت به عيناكا
لم أكتبِ الأشعارَ فيك مهابةً

---

(١) الشاعر يشير إلى حادثة (حنين الجذع) التي وردت عند البخاري وعند غيره من أصحاب الحديث فقد جاء في البخاري عن جابر بن عبد الله قال: (كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه) رواه البخاري ٨٦٧ و٣٣٢٠) وانظر أيضاً: الترمذي (٤٦٣) و(٣٥٦٠) والنسائي (١٣٧٩) وابن ماجه (١٤٠٤) و(١٤٠٥) وفيه: فحن الجذع فأتاه فاحتضنه فسكن، ورواه أيضاً غيرهم من أصحاب كتب الحديث التسعة.

ذراتِ رمـــلٍ مـــن تـــرابِ خُطاكـــا
هم كالخشاش على الثرى ومقامُكم
مثـلُ الـسماك[1] فمـن يطـولُ سـماكا؟!!
روحـــي وأبنائي وأهلي كلـهم
وجميـــع مـــا حَـــوَت الحيـــاةُ فـــداكا

٥٢ـ محبة صحابته الأبرار وآل بيته الأطهار:

ويُلحـق بمحبتـه ﷺ محبـة صـحابته الأبـرار وآل بيتـه الأطهار، قال ابن تيمية رحمـه الله: «وكـذلك محبـة صـحابته وقرابته كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (آيـة الإيـمان حب الأنصار وآيـة النفـاق بغـض الأنـصار)[2] وقـال: (لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بـالله واليـوم الآخـر)[3]، وقـال علي ﷺ :(إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا

---

(١) جاء في لسان العرب: ١٠/ ٤٤٤: "السماك: نجم معروف" وجاء فيه: "السماكان: نجمان نيران أحدهما السماك الأعزل والآخر السماك الرامح ويقال إنهما رجلا الأسد والذي هو من منازل القمر" (١٠/ ٤٤٣) والشاعر يقصد أن مقام النبي صلى الله عليه وسلم من حيث السمو هو في السماوات العلا.

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٥٠٠) واللفظ له، ومسلم (١٠٩).

(٣)مسلم (١١١)، (١١٢)، والترمذي (٣٨٤١)، وأحمد (٢٦٧٩).

تغضي حروفي رأسَها لحلاكا
لكنها نارٌ على أعدائكم
عادى إلهَ العرشِ مَن عاداكا
إني لأرخصُ دون عرضِك مهجتي
روحٌ تروحُ ولا يُمسُّ حماكا
شُلّتْ يمينٌ صوَّرتك وجُمِّدتْ
وسطَ العروقِ دماءُ من آذاكا
ويلٌ فويلٌ ثم ويلٌ للذي
قد خاضَ في العِرضِ الشريفِ ولاكا
يا إخوةَ الأبقارِ هن سباتكم
"مَن في القطيع سيصبح الأفّاكا؟"
النارُ يا أهلَ السباقِ مصيرُكم
وهناك جائزةُ السباقِ هناكا!!
تتدافعون لقعرها زُمَراً ولن
تجدوا هناك عن الجحيمِ فكاكا
هبُّوا بني الإسلام نكسر أنفهم
ونكون وسطَ حُلوقِهم أشواكا
لك يارسولَ اللهِ نبضُ قصائدي
لو كانَ قلبٌ للقصيد فداكا
هم لن يطولوا من مقامك شعرةً
حتى تطولَ الذّرةُ الأفلاكا!
والله لن يصلوا إليك ولا إلى

يبغضني إلا منافق)[1]، وفي السنن أنه قال للعباس: (والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم لله ولقرابتي) [2] يعني بني هاشم، وقد روي حديث عن ابن عباس مرفوعا أنه قال:(أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لأجلي) »[3].

٥٣ـ كل مَن آمن بالنبي ﷺ له حظ في محبته:

قال القرطبي: كل مَنْ آمن بالنبي ﷺ إيمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة، لكنهم متفاوتون، فمنهم مَنْ أخذ مِن تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى كمن كان مستغرقا في الشهوات

---

(١) مسلم (١١٣)، والنسائي (٤٩٣٦)، وابن ماجة (١١١)، وأحمد (٦٠٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة:٦/ ٣٨٢، والمعجم الكبير: ١١/ ٤٣٣ كلاهما بلفظ (لن ينالوا خيرا حتى يحبوكم لله ولقرابتي). والحديث بلفظ آخر: (لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي) في: مسند أحمد (١٦٨١)، ومسند البزار: ٦/ ١٣١، وشعب الإيمان: ٢/ ١٨٨، وتهذيب الكمال: ٣٣/ ٣٤٠، والإصابة: ٤/ ٣٨٠.

(٣) ابن تيمية: التحفة العراقية ج:١ ص:٦٧.

محجوبا في الغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وولده وماله ووالده ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة ويجد مخبر ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات والله المستعان. انتهى ملخصا»[1].

٥٤ـ الطريق للترقي في محبة الرسول ﷺ:

ذكر ابن القيم أن «الحياة الطيبة» في ظل المراتب العليا من الإيمان تفضي بالعبد إلى أن يرزق زيادة محبة للنبي ﷺ واستيلاء روحانيته عليه فقال:

«فأول طريقها [أي الحياة الطيبة]: أن تعرف الله وتهتدي إليه طريقا يوصلك إليه ويحرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب إليها بكليته

---

(١) أشار إليه وقدمه ملخصا صاحب فتح الباري ج: ١ ص: ٥٩.

ويزهد في التعلقات الفانية ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله ولا بخطرة فضول لا تنفعه فيصفو بذلك قلبه عن حديث النفس ووسواسها فَيُفْدى من أسرها ويصير طليقا فحينئذ يخلو قلبه بذكر ربه ومحبته والإنابة إليه...

فإذا صدق في ذلك رُزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله إمامه ومعلمه وأستاذه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديا إليه فيطالع سيرته ومبادئ أمره وكيفية نزول الوحي عليه ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه في حركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه...»[1].

وهناك مزيد تفصيل للحياة الطيبة في ظل الإيمان وكيف

---

(١) ابن القيم: مدارج السالكين: ج: ٣ ص: ٢٦٧-٢٦٨.

يترقى العبد فيها حتى ينال مرتبة الإحسان[1].

٥٥ـ ثانيا ـ توقيره وتبجيله واحترامه حيا وميتا:

وهذا هو الواجب الثاني من واجبات المسلم تجاه النبي ﷺ بعد واجب المحبة الذي شرحناه في الفقرة السابقة، أن يُوقِّره المسلم ويُبجِّله ويحترمه حيا وميتا -بأبي هو وأمي- ﷺ.

قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[النور: ٦٣]، لأن الرسول الكريم ليس كواحد من الناس، إنه رسول الله وعلى الناس أن يوقروه ويجلوه ويشرفوه حتى في ندائهم له، فعليهم أن يقولوا له: يا رسول الله، يا نبي الله. وهذا بعض معاني هذه الآية.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٩] قال المفسرون: ﴿ وَتُعَزِّرُوه ﴾أي تعينوا الرسول وتنصروه،

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابنا: (موسوعة المسلم في التوبة والترقي في مدارج الإيمان)ط١، ٢٠٠٦م، دار النفائس، الأردن.

﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي تعظموه وتفخموه[1]، وقال ابن كثير: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ من التوقير وهو الإحترام والإجلال والإعظام[2]. وأضاف بعضهم: أي تدعوه بالرسالة والنبوة لا بالأسم والكنية[3]. وقوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي تسبحوا الله بكرة وأصيلاً[4].

ومن مظاهر توقيره واحترامه عدم سبقه بالقول أو رفع الصوت عند كلامه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ١-٣].

---

(١) البغوي: ٤/ ١٩٠.
(٢) ابن كثير: ٤/ ١٨٦.
(٣) القرطبي: ١٦/ ٢٦٧.
(٤) المراجع السابقة جميعاً وكذلك جميع التفاسير الآخرى غيرها.

ويبقى هذا الاحترام والتوقير بعد وفاته ﷺ فلا ينبغي رفع الصوت في مسجده وعند قبره.

كما يجب التأدب عند سماع حديثه الشريف وسنته المطهرة والإصغاء الكامل لها والرضا بها وعدم الخروج عليها أو معارضتها بالآراء الفاسدة، فإذا سمع المسلم (قال رسول الله ﷺ) فليعلم أنه لا قول لأحد مع قوله ﷺ ولا معارضة لقوله، وإنما هو الاستماع، وفهم هذا القول النبوي الكريم والعزم على العمل به.

٥٦ ـ ثالثا ـ نصرته ومناصحته والعمل بشريعته والدفاع عنها:

وهذا هو الواجب الثالث بعد الواجبين السابقين: نصرة المسلم للنبي ﷺ، وأن يعمل بشريعته، وأن يحبها ويغار عليها ويدافع عنها، ولا يقف متفرجا أمام تعدي الكائدين من الكفار والمنافقين، بل ينتفض انتفاضاً ويغار غيرة عظيمة عند انتهاك حرمة رسول الله ﷺ وحرمة دين الإسلام وفاءً للحبيب المصطفى والشريعة العظمى، يفعل ذلك أداءً للواجب الشرعي ولا يخاف في ذلك لومة لائم.

قال تعالى في وصف الصحابة المهاجرين بقوله: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] قال النسفي في تفسيرها: «أي ينصرون دين الله ويعينون رسوله أولئك هم الصادقون في إيمانهم وجهادهم»[1]، وهكذا يجب أن يكون شأن من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وقد مرّ معنا في الفقرة السابقة تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي تعينوا الرسول وتنصروه.

وأما مناصحته ﷺ فقد أرشد القرآن إليها بقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[التوبة: ٩١]، وقال ﷺ: (الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم)[2].

---

(١) تفسير النسفي ج: ٤ ص: ٢٣١.

(٢) الترغيب والترهيب ج: ٢ ص: ٣٦١ وقال: رواه مسلم [واللفظ له]، والنسائي وعنده: « إنما الدين النصيحة »، وأبو داود وعنده: « إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة » الحديث ،

قال العلماء في معنى النصيحة لرسوله بأنها: «نصيحة رسول الله ﷺ: التصديق بما جاء به، والاعتصام بسنته، ونشرها، والحظ عليها، والدعوة إلى الله، وإلى كتابه وإلى سنة رسوله، وإلى العمل بها»[1] وأضاف بعضهم في معنى النصيحة لرسوله: «المثابرة على تعلم سنته، والتفقه في شريعته، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من رغب عن سنته، وانحرف عنها، وبغضه والتحذير منه، والشفقة على أمته، والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه، والصبر على ذلك»[2].

ونخلص مما تقدم إلى أن:

نصرة الرسول ﷺ: تستلزم الجهاد في سبيل الله مدافعا عن شريعته بكل أنواع الجهاد باللسان والمال والنفس

ورواه الترمذي من حديث أبي هريرة بالتكرار أيضا وحسنه.

(١) أبو إبراهيم: إسحاق التجيبي، أشار إليه: صاحب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص ٥١٠.

(٢) أبو بكر البغدادي الآجري، أشار إليه المرجع السابق ص ٥١٠.

لإعلاء كلمة الإسلام، ومناصرته شخصياً بتقديم كل عون له في حياته وبعد مماته عليه الصلاة والسلام والذود عن حرمة رسول الله ﷺ أن ينتهكها الكفار والمنافقون.

ومناصحته: تستلزم إحياء السنة وإماتة البدعة، والبر وحسن الصلة بشخصه الكريم ﷺ، وصحابته الأبرار، وآل بيته الأطهار.

٥٧ ـ رابعا ـ الابتعاد الكامل والتام عن إيذاء النبي ﷺ:

وهذا هو الواجب الرابع على المسلم تجاه النبي ﷺ.

إن إيذاء النبي ﷺ في أي شيء وبأي قدر من الإيذاء حرام حرمة مؤكدة وهو من الكبائر لتوعد صاحبه بالعذاب الأليم، وقد يؤدي إلى خروج المسلم من الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١] وقال عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٦٣].

ويدخل في نطاق إيذائه المحرم: إيذاؤه ﷺ بالطعن في زوجاته الكريمات أو سبهن أو عداوتهن فهن أمهات المؤمنين بنص القرآن، قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾[الأحزاب: ٦] وهن زوجاته الكريمات في الدنيا والآخرة.

كما يدخل في إيذائه ﷺ: إيذاؤه بالطعن في آل بيته الأطهار وصحابته الأبرار أو سبهم أو عداوتهم.

٥٨ـ خامسا ـ الصلاة والسلام عليه ﷺ:

وهذا هو الواجب الخامس على المسلم تجاه النبي ﷺ فقد ورد الأمر بذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية، كما ورد أيضا الذم لمن لم يصل ويسلم عليه، وذلك يدل على وجوبهما:

٥٩ـ١ـ الأمر في القرآن والسنة بالصلاة والسلام عليه:

أمر الله تعالى المؤمنين بالصلاة والسلام على النبي فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وفي الصحيحين عن كعب بن عجرة قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[1].

وفي الصحيحين أيضا عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: (قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[2].

وفي رواية أخرى لمسلم[3] وغيره[4] في آخرها قوله ﷺ:

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣١١٩)، ومسلم (٦١٤) واللفظ له.
(٢) متفق عليه: البخاري(٣١١٨) واللفظ له، مسلم (٦١٥).
(٣) مسلم (٦١٣).
(٤) أحمد (٢١٣٢٠)، ومالك (٣٥٨)، والدارمي (١٣٠٩).

(والسلام: كما قد عُلِّمتم)، قال العلماء[1]: «هو ما علمهم الله في التشهد من قوله: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

وفي رواية الترمذي قوله ﷺ: (قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد) [2].

وقال ﷺ في فضل الصلاة والسلام عليه: (من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً) [3] وقال أيضاً: (من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطَّ عنه عشر خطيئات ورُفِعتْ له عشر درجات) [4].

---

(١) القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص ٥٦٥.
(٢) رواه الترمذي (٣١٤٤)، والحديث موجود في الصحيحين وفي كتب السنن الأخرى بألفاظ مقاربة.
(٣)رواه مسلم (٥٧٧)، والترمذي (٤٤٧) و(٣٥٤٧)، والنسائي (٦٧١) وغيرهم .
(٤)رواه النسائي واللفظ له (١٢٨٠) وأحمد (١١٥٦٠) وغيرهما.

٦٠ـ ٢ـ مواطن الصلاة على النبي ﷺ:

وللصلاة على النبي ﷺ مواطن كثيرة ذكر منها الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه " جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام" واحداً وأربعين موطناً، منها على سبيل المثال:

الصلاة عليه ﷺ عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه، وفي أثناء صلاة العيدين بين التكبيرات، وآخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وعند الوقوف على قبره، وعند الهم والشدائد وطلب المغفرة، وعقب الذنب إذا أراد أن يكفّر عنه، وغير ذلك من المواطن التي ذكرها رحمه الله في كتابه[1].

---

(١) ابن القيم: جلاء الأفهام ١/ ٣٢٧ وما بعدها.

٦١ـ٣ـ ذم من ترك الصلاة والسلام عليه:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (رَغِم أنفُ رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان فانسلخ قبل أن يُغفرَ له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يُدخلاه الجنة) قال ربعي: ولا أعلمه إلا قد قال أو أحدهما)[1].

وفي حديث آخر عن جابر يعني ابن سمرة رضي الله عنه قال: (صعد النبي ﷺ المنبر فقال: آمين، آمين، آمين، قال: أتاني جبريل ﷺ فقال يا محمد: من أدرك أحد أبويه فمات فدخل النار فأبعده الله فقل آمين، فقلت: آمين، فقال: يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله فقل آمين، فقلت: آمين، قال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله فقل آمين، فقلت: آمين)[2].

---

(١) الترمذي (٣٥٤٥) وقال حديث حسن غريب، وأحمد (٧١٣٩).
(٢) الترغيب والترهيب للمنذري ج: ٣ ص: ٢١٨-٢١٩ حديث رقم

وعن علي ابن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (البخيل، كل البخيل، الذي ذكرت عنده فلم يصل علي)[1].

وعن قتادة عن النبي ﷺ: (من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي)[2].

وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ، قال: (لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي إلا كان عليهم حسرة - وإن دخلوا الجنة - لما يرون من الثواب)[3].

(٣٧٦١) وقال: رواه الطبراني بأسانيد أحدها حسن. قال ابن القيم في « جلاء الأفهام » صفحة (٣٨٣) بعد أن أورد طرف الحديث: «ولا ريب أن الحديث بتلك الطرق المسندة يفيد الصحة ».

(١) ذكره الحافظ في الفتح ١١/ ١٦٧ وقال: (أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وإسماعيل القاضي... ولا يقصر عن درجة الحسن) (انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص٥٧٢).

(٢) حديث مرسل أخرجه عبد الرزاق في جامعه كما في الفتح(١١/ ١٦٨) والقول البديع ص٢١٥ قال السخاوي « رواته ثقات » ورمز لضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٨٢١٥). وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣١٢١) من حديث محمد بن علي مرسلا. (الجفاء) هو ترك البر والصلة، وغلظ الطبع (فيض القدير:٦/ ٧).

(٣) أخرجه الترمذي عقب الحديث (٣٣٨٠) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٧٨٨٦).

٦٢ ـ سادسا ـ سؤال «الوسيلة» له ﷺ:

وهذا هو المطلوب السادس من المسلم تجاه النبي ﷺ: ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة، والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حَلَّتْ له شفاعتي يوم القيامة)[1].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن

وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٤١٠) موقوفا على أبي سعيد.

(١) البخاري (٤٣٥٠).

سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة)[1].

فتلك هي الواجبات والمطلوبات الستة تجاه النبي ﷺ، فاعرض نفسك عليها ثم انظر أين أنت من المصطفى ﷺ، فإن وجدت تقصيرا في حالك فتداركه، والله يرعاك والمؤمنين والمؤمنات كافة.

---

(١) مسلم (٥٧٧) واللفظ له، والنسائي (٦٧١)، وأبو داود (٤٣٩)، وأحمد(٦٢٨٠).

المبحث الخامس

الاحتراز والحذر من الخلط بين ما لله وما للرسول من حق[1]:

٦٣ ـ الجمع بين محبة النبي ﷺ وتعظيمة وتبجيله وبين التوحيد الخالص:

ومما يجب الانتباه إليه والحذر التام منه أن يخلط المسلم ما لله تعالى من حق بما للرسول ﷺ من حق، فإن الله تعالى هو الذي شرع ما يكون للرسول من حقوق على الأمة من المحبة والنصرة والتوقير والصلاة والسلام عليه وعدم الإيذاء، وغير ذلك، فإذا فعلها المسلم فإنما يفعلها طاعة لله تعالى بنية عبادة الله وحده لا شريك له وذلك بطاعة الأمر والنهي الإلهي كتابا وسنة.

إلا أن المسلم قد يقع في خلط ما لله بما للرسول دون أن يشعر، أو يقع فيه متعمدا ظانا أنه من واجب المسلم نحو

---

(١) د.عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة ص ٣٦ وما بعدها. (بتصرف).

الرسول ﷺ وأنه من حقه على المسلم، أو أن ذلك من مزيد محبته للنبي ﷺ فيقع في الشرك الخفي أو الجلي وبالتالي يقع في سخط الله. ومن هنا وجب بيان الحدود الفاصلة التي تعصم المسلم من الوقوع في الشرك.

إن محبة الرسول ﷺ الحقيقية هي متابعته والمسارعة إلى مرضاته ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢]، وهذا لا يتم إلا بتجريد المتابعة لشرعه الذي جاء به من ربه ولسنته القولية والفعلية، ومن المعلوم أن ما جاء به ﷺ من ربه إفراد الله بالعبادة بجميع أشكالها وصورها وعدم إعطاء ذرة منها لأحد كائنا من كان، وهذا هو معنى كلمة التوحيد. وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالعبادات مبناها على أصلين:

أحدهما: أن لا يعبد إلا الله وحده لا نعبد من دونه شيئا لا ملكا ولا نبيا ولا صالحا ولا شيئا من المخلوقات.

والثاني: أن نعبده بما أمرنا به على لسان رسوله لا نعبده

ببدع لم يشرعها الله ورسوله»[1].

ولتحقيق هذه المعاني العالية في نفوس المسلمين بيّن القرآن الكريم: أن محمدا ﷺ بشر، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠]. وإنه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا وإنما المالك لهذا وذاك هو الله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وعلى هذا فالاستغاثة وطلب العون وكشف الضر يكون من الله تعالى الذي دعانا إلى الطلب منه والتوجه إليه قال تعالى: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) ابن تيمية: التحفة العراقية ج: ١ ص: ٦٧.

كما أن الخشية والتقوى تكون لله، والتوكل يكون على الله، فهو الكافي جل جلاله قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩].

فهذه الآيات صريحة في تحديد ما لله من حق وما للرسول من حق:

فمن حقوق الله تعالى وحده: الخشية منه، والتقوى له، والكفاية لعبده، والتوكل عليه، والرغبة إليه، والتوجه بالدعاء إليه.

أما الطاعة فهي من حق الله وحق رسوله ﷺ، وطاعة الرسول في حقيقتها طاعة الله، وكذلك من حق الرسول إعطاء ما يراه من غنائم وفيء وغيرها لمن يرى إعطاؤه.

وفي الحديث الشريف عن النبي ﷺ (لا تطروني كما

أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله)[1]. وقال رجل للنبي ﷺ (ما شاء الله وشئت) فقال ﷺ (أجعلتني لله ندا، قل: ما شاء الله ثم شئت)[2].

فالنبي الكريم ﷺ جاء بالتوحيد الخالص لله رب العالمين. ومن حرصه الشديد على ما ينفع المسلمين كان يبين لهم التوحيد كما يبين لهم معاني الشرك لئلا يقعوا فيه، وهذا من كمال نصحه ورحمته ورأفته بأمته – بأبي هو وأمي – ﷺ، فجزاه الله عنا خير الجزاء. قال تعالى في بيان بعض أوصافه الكريمة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال جل ثناؤه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[الأحزاب: ٦].

---

(١) البخاري (٣١٨٩) و(٦٣٢٨)، وأحمد (١٤٩) و(١٥٩)، و(٣١٣)، والدارمي (٢٦٦٥).

(٢) أورده ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٨) وقال: « رواه ابن مردويه وأخرجه النسائي وابن ماجة ».

الخاتمة

٦٤ ـ الخاتمة :

هذا ما يسره الله تعالى من مباحث هذا الكتاب ، بينا فيه - بمعونة الله عز وجل - حقائق أساسية لا غنى للمسلم عن معرفتها في مبحث أول هو على درجة كبيرة من الأهمية من حيث ضرورة معرفة تلك الحقائق من قبل كل المسلمين وهي حقائق تستحق - في اعتقادي - أن تكون جزءاً من معارفهم وثقافتهم في العصر الحديث ، ثم تحولنا إلى مباحث أخرى تشكل ركيزة أساسية في علم المسلم وثقافته بشأن النبوة، والقرآن بوصفه المعجزة المستمرة ، وشخص الحبيب المصطفى ﷺ وما له من حقوق على أمته ونحو ذلك ، أدعو الله تعالى أن يكتب بها النفع العميم لسائر المسلمين والمسلمات في العالم الإسلامي وخارجه .

وصلى الله على حبيبنا وشفيعنا سيد الأولين والآخرين وأشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين وسلم تسليما كثيرا، وجعلنا الله تعالى والمسلمين والمسلمات ممن تفانى في محبته ونهض بهمة لنصرته وعمل بإخلاص في طاعته واتباع شريعته وإحياء سنته وممن نال شفاعته يوم القيامة وجمعنا معه ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٥] برحمته وفضله وإحسانه ﴿ إِن رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفهرس

مقدمة ٥

١- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ ٥

٢- الهدف من نشر هذا الكتاب ٨

٣- خطة البحث ٩

المبحث الأول: حقائق أساسية لا غنى عن معرفتها ((موقف الفكر الغربي من النبي ﷺ ، وإثبات النبوة، وجهاد الفتح، وحرية التعبير)) ١١

٤-تمهيد ١١

٥-أعداء الرسل يشبه بعضهم بعضا ١١

٦- أنصار الرسول ﷺ هم الصادقون المنصورون ١٣

٧- المستهزئون بالرسل خاطئون بحق أممهم أيضا ١٤

٨-المسؤولية عن جريمة الاستهزاء بالرسول ﷺ جماعية تضامنية ٢٢

٩-مشكلة الفكر الغربي مع النبي محمد ﷺ ودين الإسلام ٢٤

١٠- قرون طويلة من الادعاء الباطل والافتراء على نبي الإسلام ورسالته ٢٦

١١-أسباب مشكلات الفكر الغربي مع نبي الإسلام ﷺ. ٣٣

١٢ -أولا- التصور الإسلامي للإله يهدم الفكر الغربي من أساسه .. ٣٣
١٣ -ثانيا- شخصية محمد ﷺ "بشرا ورسولا" تهدم نمط الفكر الغربي بشأن المسيح عليه الصلاة والسلام..... ٣٥
١٤ -ثالثا- تصورهم عن مقتضيات الديانتين الإسلامية والمسيحية ٣٧
١٥ - رابعا- تجذُّر فكرة النبوة الكاذبة ٣٨
١٦ -خامسا- الهوس الفكري في إثبات الأفضلية وإقصاء الآخر ٤٠
١٧ - سادسا- مرآة فاضحة لواقع الغرب ٤١
١٨ -سابعا- مشروعٌ موازٍ للغرب ٤٢
١٩ - ثامنا- إحياء فكرة المواجهة ٤٤
٢٠ - صفوة القول ٤٥
٢١ - ختم النبوات والمعجزة المستمرة ٤٦
٢٢ - استمرار تحدي القرآن للمخالفين ودلالته..... ٥١
٢٣ - إنكار نبوة محمد ﷺ تنقيص بعقل الإنسان ٥٢
٢٤ -إنكار نبوة محمد ﷺ والاستهزاء بها هدم للنبوات جميعا.. ٥٢
٢٥ -القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة..... ٥٥
٢٦ - نبوة محمد ﷺ رحمة للعالمين وليست إرهابا ٦١
٢٧ -أنواع جهاد النبي ﷺ والمؤمنين من حيث الغاية منه.. ٦٣

٢٨-جهاد النبي ﷺ والمؤمنين معه من أجل تبليغ دعوة الإسلام وثمراته ٦٤
٢٩- شهادة الواقع: جهاد التبليغ أمّن حرية العقيدة، وهداية الناس ٦٦
٣٠- جهاد التبليغ وسيادة الحقوق والحريات وبناء الحضارة .. ٦٧
٣١- تضحية المسلمين واستشهادهم من أجل سعادة الناس في الدارين ٧٤
٣٢- لا إكراه في الدين ومعاملة غير المسلمين بالبر والقسط مع تبليغهم ٧٥
٣٣- جهاد التبليغ مبني على أسس وحقائق ليس من حق أحد مصادرتها أو معارضتها ٨٢
٣٤- حرية التعبير هل تحمي الاعتداء على عقيدة المسلمين في القانون الدولي العام..... ٨٥
٣٥- حرية التعبير في الإسلام لا تحمي مسلما يتطاول على أي نبي ٨٨
المبحث الثاني: الرسول الأعظم محمد ﷺ: منزلته عند الله واختياره قدوة ومثلاً أعلى ٩٢
٣٦- تمهيد : ٩٢
٣٧- الرسول ﷺ خير قدوة على الإطلاق: ٩٤
٣٨-خلاصة ما جاء في منزلة الرسول ﷺ ونِعَم الله عليه: ٩٥

٣٩- المصاحبة للنبي ﷺ بالفكر والشعور:..... ٩٩
المبحث الثالث: مقتضى الإيمان بنبوة محمد ﷺ ولوازمه والعمل بها ١٠٢
٤٠ - التصديق والطاعة والتسليم: ١٠٢
٤١ - من التناقض الإيمان بالنبي ﷺ ثم منازعته في بعض ما جاء به:..... ١٠٧
المبحث الرابع: واجبات المسلم تجاه النبي ﷺ وماله من حقوق عليه والعمل بها ١٠٩
٤٣ -أولا- محبته أكثر من الدنيا وما فيها من النفس والوالد والولد والأهل والمال والناس أجمعين: ١٠٩
٤٤ - المحبة الناقصة وكيفية معالجتها:..... ١١١
٤٥ - الأسباب الجالبة لمحبة المسلم للنبي ﷺ : ١١٢
٤٦ - السبب الأول - معرفة فضل النبي ﷺ علينا في الدنيا والآخرة:..... ١١٢
٤٧ – أ-: الرحمة والمنفعة الحاصلة لنا في الدنيا بالاهتداء برسالته:..... ١١٣
٤٨ -عزيز عليه ما عَنِتم حريص عليكم:..... ١١٧
٤٩ - فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل..... ١١٩
٥٠ - ب-: الرحمة والمنفعة الحاصلة للأمة في الآخرة بشفاعته ١٢٤

٥١ - السبب الثاني - اتصاف النبي ﷺ بالكمالات الجالبة للمحبة: ١٢٦
٥٢ - محبة صحابته الأبرار وآل بيته الأطهار: ١٤٠
٥٣ ـ كل من آمن بالنبي ﷺ له حظ في محبته: ١٤١
٥٤ - الطريق للترقي في محبة الرسول ﷺ : ١٤٢
٥٥ - ثانيا - توقيره وتبجيله واحترامه حيا وميتا: ١٤٤
٥٦ - ثالثا - نصرته ومناصحته والعمل بشريعته والدفاع عنها . ١٤٦
٥٧ - رابعا - الابتعاد الكامل والتام عن إيذاء النبي ﷺ: .. ١٤٩
٥٨ - خامسا - الصلاة والسلام عليه ﷺ: ١٥٠
٥٩ -١ - الأمر في القرآن والسنة بالصلاة والسلام عليه: ١٥٠
٦٠ -٢- مواطن الصلاة على النبي ﷺ: ١٥٣
٦١ -٣ - ذم من ترك الصلاة والسلام عليه: ١٥٤
٦٢ - سادسا - سؤال «الوسيلة » له ﷺ: ١٥٦
المبحث الخامس: الاحتراز والحذر من الخلط بين ما لله وما للرسول من حق ١٥٨
٦٣ - الجمع بين محبة النبي ﷺ وتعظيمة وتبجيله وبين التوحيد الخالص: ١٥٨
الخاتمة ١٦٣
٦٤ - الخاتمة : ١٦٣
الفهرس ١٦٤